الاوضاع السياسية واثرها في كتابات الجاحظ

الأستاذ المساعد الدكتور زاجية عبدالرزاق حسن ابراهيم
جامعة البصرة/ كلية الآداب/قسم التاريخ

الملخص:-

عاش الجاحظ حياته في ظل العباسيين وفي كنف خلافتهم فعاصر اثني عشر خليفة من خلفائهم فلقد توثقت صلة الجاحظ بالعباسيين منذ مطلع القرن الثالث فقد اتصل بالمأمون في اول عهده وقدم له الكتب التي وضعها في الامامة فاعجب بها الخليفة واثنى على صاحبها وبادر الى تكريمه وكانت النتيجة ان انقطع الجاحظ الى خدمة بني العباس فسخر قلمه للدفاع عن خلافتهم والاحتجاج لها والرد على خصومهم والمناوئين لهم وكأنما اضحى الجاحظ بذلك احد كتاب الدولة المنافحين عن وجهة نظرها الرسمية . وفي قضية خلق القران التي امتحنت بها الدولة الناس وحملتهم على هذا المذهب وضع الجاحظ بإشارة من الخليفة عدداً من رسائله المعبرة عن رأى الخلافة بوجهها المعتزلي في هذه المسألة الشائكة كرسالته في خلق القران ورسالة في نفي التشبيه ورسالته في الرد على المشبهة . وتابع الجاحظ هذا النمط من التأليف فكتب في نحو سنة (٢٢٣ هـ / ٨٣٧ م) رسالته الموسومة بـ ((النابتة)) وهي محض هجوم سافر على الامويين .ولما نجمت قضية اهل الذمة في عهد المتوكل طلب الوزير التركي الفتح بن خاقان الى الجاحظ ان يضع رسالة في ((الرد على النصارى)) وان يعجل بالفراغ منها لتعرض على الخليفة وتحظى بمباركته وفي هذه السبيل ترك الجاحظ طائفة من الاثار التي تمجد اهل الدولة واصحابها الهاشميين من ذلك كتابه ((فضل هاشم على عبد شمس)) و كتابه ((العباسية)) فان الجاحظ انقطع الى العباسيين وكتب عدداً من الرسائل والكتب في الانتصار لهم والاحتجاج لفضائلهم والحديث عن مناقبهم .

المقدمة:-

الاوضاع السياسية في عصر الجاحظ :

تجمع المصادر على الاشادة بمكانة الجاحظ العلمية والادبية على الرغم من اختلاف اصحابها مع الجاحظ في توجهاته الفكرية والمذهبية فقد وصفه الخطيب البغدادي بقوله ((ابو عثمان الجاحظ المصنف الحسن الكلام البديع التصانيف)) (١) . وقال عنه المسعودي ((وكتب الجاحظ مع انحرافه المشهور تجلو صدأ الاذهان وتكشف واضح البرهان لأنه نظمها أحسن نظم ورصفها احسن رصف وكساها من كلامه اجزل لفظ وكان اذا تخوف ملل القارئ وسأمة السامع خرج من جد الى هزل ومن حكمة بليغة الى نادرة ظريفة)) (٢) . اما ياقوت الحموي فقد أورد عن ثابت بن قرة قوله ((ما احسد هذه الامة العربية الا على ثلاث انفس ... والثالث ابو عثمان الجاحظ خطيب المسلمين وشيخ المتكلمين الخلفاء تعرفه والامراء تصافيه وتنادمه والعلماء تأخذ عنه والخاصة تسلم له والعامة تحبه جمع بين اللسان والقلم وبين الفطنة والعلم وبين الرأي والادب وبين النثر والنظم وبين الذكاء والفهم طال عمره وفشت حكمته وظهرت قلته ووطيء الرجال بعده وتهادوا ادبه وافتخروا بالانتساب اليه ونجحوا بالاقتداء به لقد أوتي الحكمة وفصل الخطاب)) (٣) .

ان ما يجدر ذكره بالنسبة للشهادات انفة الذكر انها قد اشادت بعقل وعلم وادب الجاحظ كما يتضح من كتبه ومؤلفاته من غير ان تبين تأثير كل ذلك على المجتمع و توجهاته الثقافية والسياسية . وأن قيمة كتابات الجاحظ لا تكمن في اهميتها العلمية والادبية فحسب وانما تتجاوز ذلك الى التأثير الذي تركته ولازالت تتركه في حياة الناس و توجهاتهم العلمية والادبية والسياسية ولهذا السبب فقد اهتم الخلفاء والوزراء بالجاحظ فقربوه في مجالسهم واستكتبوه في المسائل التي كانت موضع نقاش وخلاف وقدموا له الاحترام و المكافئات في مقابل تجاوبه معهم والتقائه مع اهدافهم وتطلعاتهم .

عاش الجاحظ في العصر العباسي الاول وشطراً من الثاني وعاصر اثنا عشر خليفة عباسياً من سنة (١٥٩ هـ - ٢٥٥ م) وكان هذا العصر حافلاً بالمشاكل السياسية الكثيرة على الصعيد الداخلي والخارجي وهو بصفة عامة عصر صراع بين قوى مختلفة صراع بين الثقافات المختلفة وصراع بين العناصر المتباينة التي شملتها الدولة وصراع بين النحل والمذاهب المتقاربة أو المتضاربة والمتنازعة فكرياً وعقائدياً كالمعتزلة والمحدثين والمتكلمين والخوارج وغيرهم وقد اتخذ هذا النزاع الواناً شتى فضلاً عن الصراع بين افراد الاسرة الحاكمة نفسها (٤)

ان العصر الذي عاش فيه الجاحظ لهو أزهى عصور المدينة الاسلامية وأيمنها انبعثت فيه اكبر الحركات العلمية والادبية وازدهرت اوسع حضارة عرفتها البلاد العربية منذ تاريخها القديم وازدهرت فيه الحركة الفكرية و السياسية والدينية وتفتحت فيه ينابيع مختلفة من الثقافات التي كانت موجودة اذ ذاك على وجه الارض ولقد مثل الجاحظ الحياة التي كان يحياها ادق تمثيل واصدقه مثلها في علمها وأدبها وفلسفتها و حكمتها وسياستها ودينها واخلاقها وحربها وليس عليك اذا اردت ان تعرف شيء ما عن الحياة العربية في عصر الجاحظ الا ان ترجع الى كتبه لتجد فيها الغناء كل الغناء (٥) .

كما شهد العصر الذي عاش فيه الجاحظ اضطراباً سياسياً عظيماً وخصوصاً بين الاسرة الحاكمة العباسية وبين الشيعة الامامية من جهة والنزاع والفرقة المعارضة في كل طرف من هذين فقد بايع المأمون الامام علي

بن موسى الرضا (عليه السلام) ونزع السواد ولبس الخضرة مما أدى الى حقد بنو العباس على المأمون والامام مما دفعهم بنو العباس الى مبايعة عمه المأمون ابراهيم بن المهدي بالعراق سنة (٢٠٢ هـ) ولهذا تعظمت الفتنة التي انتهت باستشهاد الامام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) على يد المأمون العباسي الذي سار الى بغداد وقبض على عمه ابراهيم بن المهدي الا انه عفى عنه واسكت الفتنة (٦) . ولم يكن هذا هو الخلاف الجديد بل كانت سلسلة من الصراعات وقد تشعبت حتى شملت اطراف اخرى فالخلاف بين العلويين والعباسيين من جهة وبين العباسيين والبرامكة من جهة اخرى على أثر اطلاق سراح يحيى العلوي فكانت من اهم الاسباب التي دفعت هارون الى نكبة البرامكة (٧) . ولم يكن ذلك فحسب بل ازداد نفوذ الاتراك بعد ان ادناهم المتوكل الى كنفه لغرض التنكيل بالشيعة وحليفهم الفرس وبذلك انحسر امل الشيعة الذي ظل يتراوح بين الانتعاش والذبول طيلة المائة عام الاولى من حياة الدولة العباسية (٨) .

وقد عاصر الجاحظ عظمة الدولة العباسية واوج ازدهار الثقافة العربية الاسلامية وكان احد الاركان الاساسية في ذلك البناء الثقافي القيد كما شهد الجاحظ العديد من الاحداث السياسية ابتداءاً من عصر هارون الرشيد حتى وفاته سنة (٢٥٥ هـ - ٨٦٩ م) نذكر منها نكبة البرامكة وال سهل والحرب الاهلية بين الامين والمأمون والمحنة على عهد المأمون واحداث بغداد ضد الجند الترك وحركات الشعوبية والزندقة والخرمية واخيراً لا اخراً تعاظم نفوذ الترك في السياسة العباسية (٩) .

ولقد عرف الجاحظ بانه اديب فرض نفسه في عصره وفي العصور اللاحقة وفضلاً عن هذا كان السياسي المحنك الذي عاش حياته مدافعاً عن اراءه وافكاره وكذلك كونه سياسياً بارعاً مارس السياسة بشكل او باخر من خلال مؤلفاته واستطاع ان يخوض غمار ذلك المعترك الشائك الذي لم يكن مقتصراً على طبقة الخلفاء أو الوزراء أو الحاشية ورجالاتهم وصراعاتهم الخفية والمعلنة والتي لا تنتهي ما دامت هناك مصالح ومنافع وكراسي حكم يتهافتون عليها (١٠) .

ان ما كتبه يرتبط بواقع التحولات السياسية والفكرية التي شهدها وعايشها الجاحظ نفسه فلذلك وحده الذي يقود الى اصدار احكام موضوعية دقيقة في هذا الجانب ولاسيما ان الجاحظ اذا ما نافح عن فريق أو فكرة ما فانه يرمي في ذلك بكل ثقله الفكري وبكل ادواته البلاغية والمنطقية والحجاجية حتى يكاد يوهم قارئه بانه هو مبتدع هذه العقيدة أو الفكرة وليس غيره وهذا امر عكس في الوقت نفسه سعة ما امتلكه الجاحظ من اخبار ومرويات و معلومات وافكار تصلح لتوظيفها لأية اغراض سياسية وفي كل وقت وحين مع قدرة كبيرة على المحاجة المنطقية تسلح بها في معظم كتاباته (١١) . لم تشهد المدنية الاسلامية في تاريخها الطويل الحافل عصرا أزهر ولا أزهى من ذلك العصر الذي عاش فيه الجاحظ فلقد بلغت فيه مملكة بني العباس أوجها الأعلى في العزة والمنعة والقوة وبسطة السلطان وهكذا كانت الحياة التي شهدها الجاحظ وعاش فيها مزيجا قويا من هذه الالوان التي التقت فيها حضارات وثقافات قديمة رفدتها جداول تلك الامم التي فتحتها العرب وامتزجوا بها شهد الجاحظ هذه الحياة وتفاعل معها ووقف أمامها بعقله الكبير كما يقف المصور البارع والناقد اللاذع والموجه الأمين والمؤرخ الحكيم ينقل هذا العالم الكبير وتلك الحياة الصاخبة

الشاغبة بكل صورها و مشاهدها واحداثها الى بطون كتبه ورسائله حتى كان له هذا التراث الضخم وذلك المجد الخالد (١٢) .

وكتبه ورسائله على أية حال رياض للنفوس وواحات للعقول تستجم بها وتتزود بعديد من المعارف وفيها رياضة للفكر فيما يشغل بال الناس في عصره من قضايا سياسية وعقدية ودينية او اجتماعية أو ادبية (١٣) . ويتضح اثر الاوضاع السياسية في العصر الذي عاش فيه الجاحظ من خلال مؤلفاته وهي :

كتاب النابتة :

ان ما يمكن ان نخلص منه هو ان الجاحظ لم يكن سوى عباسي في ميوله السياسية وانصب في هذا المجرى ما كتبه سياسياً مباشراً كان ذلك ام غير مباشر ومارس دوراً دعائياً واسعاً لمصلحة العباسيين .

وابان الحكم العباسي لم يكف انصار الامويين عن النضال في سبيل السلطة والقضاء على الدولة العباسية وكان هذا النضال يتخذ شكل الدعاية الفكرية السرية أو شكل الثورات العلنية الدموية ويبدو من رسائل الجاحظ ان أنصار الامويين نشطوا في القرن التاسع الذي عاش فيه الجاحظ فكان يطلق عليهم اسم النابتة أو العثمانية أو العمرية أو البكرية فبادر العباسيون للرد عليهم ونقض حججهم ولاسيما المأمون والمعتصم وتطوع الجاحظ للاضطلاع بمهمة الرد فكتب عدة رسائل حول هذا الموضوع منها رسالة النابتة ومنها رسالة العباسية ومنها رسالة فضل هاشم على عبد شمس وقد فعل ذلك تقرباً من العباسيين اصحاب السلطان (١٤) .

ففي رسالة النابتة فان النابتة ينتصرون لبني امية ويحنون الى دولتهم ويزينون اعمالهم ويدعون لهم فرد عليهم الجاحظ مبينا سيئاتهم وتهافت حجج انصارهم النابتة (١٥) .

اما موقف الجاحظ من الامويين الذين كانوا قطباً اخر للصراع الفكري الدائر في القرن الثالث للهجرة ممثلين بتيار النابتة والمحدثين او ما اطلق عليه بـ الحشوية فكان ذا شعبتين متضادتين فمال اليهم مرة ونال منهم في اخرى حيث وضع في عصر المأمون رسالته في امامة معاوية بن ابي سفيان وهي نفسها رسالته في النابتة (١٦) وانطلقت هي ايضاح من روح الخصومة بين السلطة والمحدثين وفي الاجواء التي حاول فيها المأمون لعن معاوية على المنابر (١٧) لذا جاءت هذه الرسالة مستقرة بعبارات جادة في حديثها عن الامويين (١٨) فكتاب النابتة مظهر من مظاهر النشاط العقلي والادبي الذي اقتضته هذه الحركة الدينية والسياسية وكما اقترنت في هذه الحركة مسألة معاوية بمسألة خلق القران كذلك اقترنت في هذا الكتاب (١٩) .

كتاب العباسية :

أن الجاحظ كان معتزلياً في عقيدته و موالياً للعباسيين في نهجه السياسي وعلى ذلك فقد عادى اعداء المعتزلة والعباسيين واولى انصارهم وكتب كتباً ورسائل عديدة في ذلك ولقد اطرى الجاحظ على النهج السياسي والفكري للعباسيين في رسالته في العباسية (٢٠) . وايد مذهبهم ولم ير الخروج على الدولة أو استعمال السيف ضدهم وهو يدافع عن سياسة الائمة العباسيين قائلاً : ((وهكذا تدبير الخلفاء ولكن اكثر الناس لا يعلمون ولو كان اذا لم يفهموا عن الائمة لم يعترضوا عليهم ولم يخطئوهم ولم يجهلوهم كان ايسر)) (٢١) .

دافع الجاحظ في رسالته الموسومة بـ العباسية عن حق العلويين في ميراث الرسول (صلى الله عليه وسلم) حتى كاد ان يكون شيعياً بحيث انتقد كثيراً سياسة كل من ابي بكر وعمر تجاه هذه المسألة (٢٢) .

وبما ان الرسالة جاءت مقتضبة فقد ادى ذلك الى التركيز على هذا الجزء منها ولما كان موضوعها الرئيس هو ((العباسية)) فانه بوسعنا الاستنتاج ان الرسالة تعرضت لقضية ارث الخلافة بالأصل وصولاً الى حق العباسيين فيها عن هذا الطريق (٢٣) مبرراً بذلك وجودهم في السلطة ومسبغاً عليه المشروعية والقداسة لأنه ميراث الرسول (صلى الله عليه وسلم) فالعباس عليه السلام عم الرسول وصاحب الحق بوراثته فالعم اب والعم وارث وهو ما استند اليه ابو جعفر المنصور في محاجته لمحمد النفس الزكية الثائر عليه في رسائل جرت بينهما (٢٤) واغلب الظن ان الجاحظ وضع رسالته هذه في غضون العشرين سنة الاولى من القرن الثالث للهجرة عندما اشتدت الخصومة بين السلطة والمحدثين (٢٥) الأمر الذي احتاج الى تأكيد مسألة الوراثة هذه اضفاء الطابع القداسة على تولي العباسيين للخلافة وللحد من مناوأة هذا الفريق للدولة التي كانت قد تبنت الاعتزال معتقداً فكرياً لها (٢٦) .

فقد ابرز اهمية النسب (الوراثة) في تولي الخلافة من اجل ذلك وضع رسالته في العباسية فان هذه الرسالة عالجت موضوعاً رئيساً تمثل في سوق الحجج التي جعلت من العباسيين اصحاب حق في توليهم الخلافة ذلك الحق الذي ضمنه لهم وراثة العباس عليه السلام للرسول (٢٧) .ثم اشار الى ذلك مرة اخرى في اطار حديثه عن المفاخرة بين الهاشميين والامويين فذكر ((من بين مناقب بني هاشم ...انهم ملكوا بالميراث وبحق العصبة والعمومة وان ملكهم في مغرس نبوة وان اسبابهم غير اسباب بني مروان))(٢٨) وصيغة الخطاب في هذه الجمل تنم عن ان الحديث للجاحظ وليس للهاشميين كما اقتضى سياق المفاخرة بين الفريقين مما يشير الى انه روج هو شخصياً لمثل هذه الافكار ثم عمد الى استخدام ادوات الحصر والتأكيد والاقرار في تأكيد هذا الأمر بقوله ((ان كانت الخلافة انما تنال بالوراثة وتستحق بالعمومة وتستوجب بحق العصبة)) (٢٩) .

فحصر الامامة بذلك في الفرع العباسي في الاسرة الهاشمية فهو لمح الى ان العم يرث قبل ابن العم فاذا كانت الامامة تورث فالعباس عليه السلام احرى بها من غيره وعنى بذلك استبعاده للعلويين عن هذا الامر ايضاً بعد ان نفي اي حق الامويين فيها كما نبه في مكان اخر على اهمية النسب في طلب المراتب والخلافة بلا شك من بينها فقال ((الا ترى ان ابعد الناس همه في نفسه واشدهم تلفتاً الى المراتب لا تنازعه نفسه الى طلب المراتب لان ذلك يحتاج الى نسب أو الى امر قد وطئ له بسبب))(٣٠) .

اما رسالة العباسية فقد وضعها الجاحظ لبين ان العباسيين احق بالخلافة من سواهم وبما انهم اسندوا هذا الحق الى الوراثة لذا يركز الجاحظ على هذا المبدأ ليوضح صحته لقد اعتبر العباسيون الخلافة ارثاً تحدر اليهم عن النبي وهم احق بذلك الارث من ابناء فاطمة بنت النبي لان البنات لا يرثن بينما الاعمام واولاد الاعمام يرثون (٣١) .

ولم يصلنا من رسالة العباسية سوى بضع صفحات ولكنها كافية لإعطائنا فكرة عن الرسالة كلها انها تدور حول موضوع واحد هو حق العباسيين في الخلافة دون سواهم وان سياقها واحد هو الجدل وقرع الحجة بالحجة بين خصمين هما العباسيين من جهة وخصومهم العثمانية من جهة ثانية (٣٢) .

كتاب العثمانية :

اما في رسالة الجاحظ في العثمانية التي وضعها بعد العباسية وقبل عام ٢٤٠ هـ (٣٣) كان ذلك في اول عهد المتوكل عندما تحولت الدولة الى موقف مناوئ للعلويين ومناهض لهم (٣٤) نجد في هذه الرسالة خصومة شديدة للشيعة وتفنيداً لآرائهم في العديد من مسائل الامامة (٣٥) . ومقدماً في الوقت نفسه كما كبيراً من الحجج والآراء التي أكدت افضلية ابي بكر و أحقيته في الخلافة (٣٦) وهو الذي كان قد انتقد الكثير من سياسته في رسالته السابقة – اي العباسية – فجاء هذا التحول انسياقاً وراء تقلبات مواقف السلطة الحاكمة ومتطلبات هذه المواقف .

ويعرض الجاحظ في كتبه الكثير من قضايا المجتمع ومنها الخلافات السياسية بين المذاهب والفرق المختلفة مثل ما يدور في رسالة العثمانية فيتعرض لوجوه الخلاف بين العلوية والعثمانية واقوال كل منهم ورد الطرف الاخر عليها ولكنه يميل ميلا واضحا على العلوية ويفند الفضائل التي ينسبونها الى الامام علي(رضي الله عنه) (٣٧) ورسالة بني امية وهي تمثل صورة من الجدل السياسي والمذهبي الذي كان سائدا في عصره بين المعتزلة واهل الحديث حول الحكم على معاوية وبني امية فأهل الحديث يتأثمون ويتحرجون ويرون التوقف في الحكم واما جمهور المعتزلة فيعلنون التبرأ منه ويمثل الجاحظ في هذه الرسالة رأي المعتزلة الذي اخذ به المأمون في عصره والذي قال الطبري انه امر مناديا فنادى برئت الذمة ممن ذكر معاوية بخير أو فضله على احد من اصحاب رسول الله عليه وسلم وارتبط المحدثون بالدفاع عن معاوية وبذلك كانت قضية من مسائل الخلاف الرئيسية بينهم وبين المعتزلة والرسالة الثالثة في هذا الموضوع امامة بني العباس (٣٨) . وتدعو الى اثبات حق العباسيين في الخلافة من ناحية الوراثة ومناقشة الآراء المختلفة التي كانت تثيرها هذه المسألة (٣٩).وتأتي بعد ذلك مجموعة من الرسائل تترى في الامامة ووجوبها ومن يستحقها والامامة عند الشيعة والرافضة والزيدية (٤٠) واقل نظرة في كتبه تنبئك بانه ازر في خدمة دولته واسفاره في الفرق ما بين هاشم وعبد شمس والرسائل الهاشميات والعباسية والعرب والموالي والعرب والعجم ووجوب الامامة والدلالة على ان الامامة فرض ومناقب الترك كلها شاهدة انه ساهم السياسيين الى الحد الذي استجازه لنفسه (٤١) .

ومن جملة الاثار التي وضعها الجاحظ في هذا الباب رسالته في مناقب خلفاء بني العباس وهي واحدة من رسائل الجاحظ الجديدة التي لم تنشر من قبل تكشف هذه الرسالة عن ملمح مهم من ملامح مذهب الجاحظ السياسي ويستوي هذا الملمح على فكرة الانتصار للدعوة العباسية وتأييد سلطانها والتنويه برجالها فقد كان الجاحظ مؤمناً بسياسة العباسيين و آرائهم مناهضاً الدولة الاموية البائدة لا يترك سانحة حتى يكتب في الاحتجاج للخلافة العباسية مفارقاً بينها وبين خلافة الامويين وقد تجلى هذا الموقف منذ مطلع الرسالة حين راح الجاحظ ينسج شيئاً من خيوط هذه المفارقة (٤٢) .

كتاب فضل هاشم على عبد شمس :

اما رسالة فضل هاشم على عبد شمس فمناظرة بين الهاشميين والامويين كل منهم يفتخر بالرجال الذين انجبهم ويعد مأثرهم فهاشم هو الجد المشترك للعلويين والعباسيين (٤٣) .

ثم جاءت رسالته الاخرى في فضل هاشم على عبد شمس التي وضعها في اول خلافة الواثق (٤٤) فنال فيها من الامويين وبما انها كانت من رسائل المفاخرة التي داب الجاحظ على اعتمادها في موضوعات عديدة أخرى

ولأن اسلوب المفاخرة هذا اعتمد فيه الحجج المتقابلة فانه عرض في هذه الرسالة حجج الامويين ايضا بما اظهرهم بصورة لم يكونوا فيها اقل من الهاشميين شاناً لذا جاء عموم موقفه من الامويين في أطار تسويغ استيلاء العباسيين على السلطة (٤٥).

أن مؤلفات الجاحظ قسماً كبيراً منها يستجيب لدوافع سياسية حكومية في زمنه وان غرض الجاحظ من تأليفها انما هو تقوية السلطة المركزية (٤٦) . ومن المرجح ان كتاب فضل هاشم على عبد شمس ناشئ عن رغبة حكومية منه شأنه في ذلك شأن كتب الجاحظ في الامامة .

ان الاسباب التي دفعت الجاحظ الى تأليف كتاب فضل هاشم على عبد شمس ففي الكتاب ست مراحل يذكر الجاحظ في مرحلة اولى مناقب هاشم وفضلهم على عبد شمس في الجاهلية والاسلام (٤٧) .ومن اول وهلة ينكشف تحيزه للهاشميين في الرد على عبد شمس فاقرأ قوله ((قال ابو عثمان وشرف هاشم متصل من حيث عددت كل الشرف معه كابرا عن كابر وليس بنو عبد شمس كذلك فان الحكم بن ابي العاص كان عاريا في الاسلام ولم يكن له سناء في الجاهلية واما امية فلم يكن في نفسه هناك وانما رفعه ابوه وكان مضعوفا وكان صاحب عهار)) (٤٨) .وقد احب ابو عثمان حسب قوله ان لا يحتج على بني عبد شمس الا ((بالموجود في القران الحكيم والمشهور في الشعر القديم الظاهر على السنة الخاصة والعامة ورواة الاخبار وحمال الاثار)) (٤٩) .

ويفيدك الجاحظ بهذا الاستفهام الانكاري أيما افادة فتشتم منه قيام حركة سياسية مناهضة للعباسيين الهاشميين يتزعمها انصار حزب الأمويين هدفها الاطاحة بملك بني العباس فيتصدى الجاحظ لمقاومتها بقلمه ويقول ان الامويين انتزعوا الملك من هاشم بالبطش والحيلة ((ويفخر بنو العباس على بني مروان وهاشم على عبد شمس بأن الملك كان في أيديهم فانتزعوه منهم وغلبوهم عليه بالبطش الشديد وبالحيلة اللطيفة)) (٥٠) ويصل الجاحظ تدريجيا الى غرضه الاصلي من تأليف الكتاب الا وهو الذود عن دولة بني العباس فتصير المفاخرات كلها تحوم حول الخلافة فاقرأ قوله ((فان قالت أمية لنا الوليد بن يزيد بن عبدالملك بن مروان بن الحكم بن ابي العاص بن امية بن عبد شمس ابن عبد مناف بن قصي اربعة خلفاء في نسق قلنا لهم : ولبني هاشم هارون الواثق بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي ابن عبدالله المنصور بن محمد الكامل بن علي السجاد ... وليس منهم الا خليفة أو موضع للخلافة او شيد في قديم الدهر متبع أو ناسك مقدم أو فقيه بارع أو حليم وليس هذا لاحد سواهم ومنهم خمسة خلفاء في نسق وهم اكثر مما عدته الاموية)) (٥١) .

والرأي عنده ان العباسيين احق الناس بالخلافة لان ((ملكهم اكثر ومدته أطول))(٥٢) ولأنهم ((ملكوا بالميراث وبحق العصبة والعمومة)) (٥٣) .

وفضلاً عما قدمناه من رأي في كيفية فهم كتابات الجاحظ هذه فانه وقف وراء هذه الكتابات عامل اخر هو رغبة الجاحظ في اظهار براعته ومهارته في التعامل مع كل الافكار والاتجاهات على تباينها دون ان يعني ذلك تبنيها جميعاً وان اوحى قلمه احيانا بمثل هذه النتيجة وهو نفسه نبه على ذلك .

فأسلوبه هذا اوهم الأولين ايضاً فقال : ((وعبتني بحكاية قول العثمانية والضرارية وانت تسمعني أقول في أول كتابي : وقالت العثمانية والضرارية كما سمعتني اقول قالت الرافضة والزيدية فحكمت علي بالنصب لحكايتي قول العثمانية فهلا حكمت علي بالتشيع لحكايتي قول الرافضة وهلا كنت عندك من الغالية لحكايتي حجج الغالية)) (٥٤) . فان كتاباته تعد محاولة لشرح مواقف وقضايا بذاتها وهو يصرح بأن ما يحكيه في كتاباته عن اصحاب المذاهب المتباينة لا يعد موافقة منه على ارائهم ولا فانه اذا حكى قول العثمانية فانه يكون من انصارها وكذلك اذا حكى قول العثمانية فانه يكون من انصارها وكذلك اذا حكى قول الرافضة صار من المتشيعين . فقد داب الجاحظ على زيادة معارفه ثم عرضها متفننا ومظهراً مهاراته الفكرية ومن اجل ذلك جالس اشخاصاً من مشارب شتى فيهم الغلاة والخوارج وغيرهم في اغلب الظن (٥٥) .

ومن يؤلف كتاب الفرق ما بين هاشم وبني عبد شمس لا يعقل الا ان يسير الى جنب بني هاشم وهو اصحاب الدولة القائمة والجاحظ خصوصاً بحكم مذهبه لا يتولى بني أمية ومن يؤلف الهاشميات وكتاب العباسية لا يتوخى غير خدمة العباسيين ولا يكتب الا ما ينفع الهاشميين وشيء اخر وهوان ابا عثمان لو لم يتخذ هذه الخطة السياسية يراعى الخلفاء وابناء الدعوة ووزراءهم لاستضعفه اعداؤه وكان له اعداء في مذهبه واعداء في علمه وفكرة وحساد غلاظ شداد من طبقة العلماء و طواغيت اغبياء يكرهون برداءة فطرهم كل من ينبغ ويشتهر والعوام متسلطون عليهم في اغلب الازمان والبلدان فلولا السياسة التي اتبعها الجاحظ ولولا ما أدرك المخالف والموالف ان له يداً عند السلطان وانه يرعاه ويبسط عليه جناح رحمته لنا له شيء من أذى العامة والخاصة بإيعاز انصار السوء فأبو عثمان اتخذ بالطريقة التي سلكها في بعض تأليفه يداً عند الخلفاء ورجال الدولة فغدوا له قوة وسنداً (٥٦) . فلقد كانت عواطف الجاحظ متجهة صوب العباسيين حيث وقف موقفاً مؤيداً ومساندا لهم فاخذ يكيل المديح الى خلفاء العصر العباسي ووصفهم بالفراسة والشجاعة والاقدام .

تحدث الجاحظ في مناسبات عديدة بالمدح والثناء سواء عن الهاشميين والعباسيين بصورة عامة ام عن الخلفاء بصورة خاصة مشيراً الى مناقبهم ومأثرهم فعلى الصعيد الاول وضع رسالته ((كتاب فضل هاشم على عبد شمس)) حيث افاض كثيراً في ذكر مناقب بني هاشم ومفاخرهم الكثيرة (٥٧) .

وكما نهنا فان هذه الرسالة وضعت ابان تصاعد خصومة النابتة والمحدثين للسلطة الامر الذي احتاج الى اعلاء شأن الهاشميين على الامويين الذين جعل منهم النابتة – اي الامويين – رمزاً لهم في مواجهتهم للسلطة (٥٨) .

ومما ابرزه من مناقب وله صلة بحديثنا هنا قوله : ((وتفخر هاشم بان احداً لم يجد تسعين عاماً لا طواعين فيها الا منذ ملكوا قالوا : لو لم يكن من بركة دعوتنا الا ان تعذيب الامراء لعمال الخراج بالتعليق والرهق والتجريد والتشهير ... قد ارتفع لكان ذلك خيراً كثيراً)) (٥٩) .

كما نهت الرسالة الى مأخذ عديدة اخذت على الامويين لم يقع العباسيون فيها فعد ذلك منقبة وفضلاً لهم (٦٠) . واذا ما امتدح امراً اتاه الخلفاء العباسيون عاب على الامويين عدم اتيانهم اياه مثل قوله ((انه لم يقم احد من ولد العباس بالملك الا وهو جامع لأسباب الفروسية وتنقص بهذه المناسبة من فروسية الخلفاء الامويون)) (٦١) . ونعيم من عموم موقفه هذا امتداحه لعصر العباسيين الذي شهد قيام الحق والعدل والرخاء وقد اكد الجاحظ ان الخلفاء العباسيين كانوا جميعاً وحتى اللحظة التي كتب فيها مقولته كانوا

فرساناً من الشجعان امتازوا بالصبر وشدة الركض وطول السرى حيث يقول ((ولم يكن من ولد العباس الى يومنا هذا خليفة الا وهو فارس صبور على شدة الركض وعلى طول السرى)) (٦٢) .

ويعبر الجاحظ عن احترامه للخلفاء العباسيين فيشير الى ضرورة مخاطبتهم بـ خليفة الله وامين الله فضلاً عن لقب امير المؤمنين وفي ذلك يقول الجاحظ ((وهكذا يجب للملوك ان يقال في مخاطبتهم يا خليفة الله ويا امين الله ويا امير المؤمنين)) (٦٣) وليس لدينا تفسير لذلك الا الاتجاه الديني والقدسية التي اضافها الخلفاء العباسيون الى حكمهم لتأكيد تمسكهم بالدين ومتابعتهم لسياسة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وصلتهم به فراقت لهم مثل هذه الالقاب التي تدل على كون الخليفة هو ظل الله في الارض وسلطاته مستمدة منه تعالى ولا صلة للناس فيها فطاعتهم من طاعة الله من جهة اخرى تناول الجاحظ اجماع الناس في بيعتهم للخليفة فأشار الى ان اجماع الناس امر لا ينال وانه ليس من الضروري ان يحصل الامام على البيعة من الجميع حيث يقول واجماع الناس كلهم على الصواب امر لا ينال ولكن اذا كانت الامة قد اطبقت على طاعة رجل من غير الرغبة والرهبة ثم لم يكن اغتراراً ولا اغفالاً فليس في شذوذ رجل ولا رجلين دلالة على انتقاض امره وفساد شأنه (٦٤) . وكان الجاحظ مصورا بارعا لعصره في تلك المؤلفات القيمة في سياسته واخلاقه فنزعاته ومذاهبه وعلومه في اصولها وفروعها (٦٥) .

يرى الجاحظ ان المؤهلات السياسية والحضارية والبشرية والادبية التي اجتمعت للدولة العباسية تفوق ما كان اجتمع للدولة الاموية من هذه المؤهلات حتى اضحت الخلافة العباسية ازهى من سابقتها بما جازته من جليل المناقب وعظيم المأثر التي عفت على ما صنعه بنو امية من جلائل الاعمال على الرغم من عداء الجاحظ للأمويين وموقفه المتشدد منهم فانه لم يسلبهم الفضل تماماً فقد اثبت طرفاً من مأثرهم وان كان جعل مأثر العباسيين فوقها (٦٦) .

كان الجاحظ سياسيا كما كان اديبا وناقدا وكاتبا وعالما ومؤلفا كان ينظر الى الأمور نظر الرجل الخبير المجرب وبخلق السياسي النظيف ومواهبه العالية عاش طوال حياته مناضلا مكافحا مدافعا عن فكرته ورأيه (٦٧) .

كتب في جميع جوانب السياسة كتب في الفرق بين هاشم وعبد شمس والرسائل الهاشميات والعباسية والعثمانية و ألف في وجوب الامامة والدلالة على انها فرض وفي مناقب الترك وهذه الكتب كلها تشهد بإسهامه في العمل السياسي العلمي (٦٨).

ان الجاحظ لم يكن كاتبا سياسيا وان كانت طائفة من كتاباته وضعت لتحقيق اغراض سياسية بعينها نجده فيها أقرب ما يكون الى صفة الكاتب شبه الرسمي المكلف بإذاعة ونشر أو تفسير ارادات حكومية أو تبسيط افكار دينية أو الدفاع في بعض الاحوال عن رجال السلطة من العباسيين وعن دين الدولة وهو الاسلام وعن العنصر العربي (٦٩) .

كتاب الامامة :

أن الجاحظ كان مبرزاً بعلم الكلام والادب والبلاغة اكثر من بقية العلوم يقول ياقوت الحموي ((وقال المرزباني قال ابو بكر احمد بن علي كان ابو عثمان الجاحظ من اصحاب النظام وكان واسع العلم بالكلام كثير التبحر فيه شديد الضبط لحدوده ومن اعلم الناس به وبغيره من علوم الدين والدنيا وله كتب كثيرة

جليلة في نصرة الدين وفي حكاية مذهب المخالفين وفي الآداب والاخلاق وفي ضروب من الجد والهزل وقد تداولها الناس وقرأوها وعرفوا فضلها ...))(٧٠)

ويبدو مما تقدم انه كان لابي اسحاق ابراهيم بن سيار البلخي المعروف بالنظام وهو متكلم مشهور ومن كبار رجال المعتزلة تأثير كبير على تكوين الجاحظ الثقافي وتوجهاته الفكرية فقد ذكر ابن خلكان ان الجاحظ كان تلميذاً للنظام (٧١). كما اكد المسعودي انه كان غلاماً لإبراهيم بن سيار النظام ((وعنه اخذ ومنه تعلم)) (٧٢) .

أن تتلمذ الجاحظ على النظام واخذه العلم عنه قد جعله يلتزم بمذهب المعتزلة في اصول الدين وفي منظوره العام عن الحياة وقد ظهر ذلك بشكل قوي و مؤثر في كتاباته ومواقفه العامة وقد وصف ياقوت الحموي ذلك بقوله ((واذا تدبر العقل المميز امر كتبه علم انه ليس في تلقيح العقول وشحذ الاذهان ومعرفة اصول الكلام وجواهره وايصال خلاف الاسلام ومذاهب الاعتزال الى القلوب كتب تشبهها والجاحظ عظيم قدر في المعتزلة وغير المعتزلة من العلماء الذين يعرفون الرجال ويميزون الامور)) (٧٣) .

ويظهر من استقراء كتابات الجاحظ وما نقل عنه من اقوال انه لم يحصل على هذه المنزلة الرفيعة بين الناس الا بفضل جده ومواظبته على التجديد والابداع في عمله وقد عبر عن ذلك بقوله ((اذا سمعت الرجل يقول : ما ترك الاول للآخر شيئاً فأعلم انه ما يريد ان يفلح)) (٧٤)

كان المأمون الخليفة العباسي الاول الذي اتصل به الجاحظ واتصاله به يعتبر حدثاً بالنسبة للجاحظ اذ به ينتهي عهده الاول في البصرة عهد التحصيل والفاقة وخمول الذكر ويبدأ عهده في بغداد عهد العطاء والغنى والشهرة في هذا العهد استمر نحو نصف قرن من الزمان عاش الجاحظ مقرباً من قصر الخلافة حائزاً على رضا اصحاب السلطان يخدمهم بقلمه ويحظى منهم بالرعاية والعطف والاموال والهبات (٧٥) .

وقد أدى اجتهاد الجاحظ وجده الى ان يصبح في نهاية المطاف ((احد شيوخ المعتزلة)) (٧٦) وصاحب مدرسة في الاعتزال اطلق عليها اسم الجاحظية وقد وصفه الشهرستاني بقوله ((كان من فضلاء المعتزلة والمصنفين لهم وقد طالع كثيراً من كتب الفلاسفة وخلط وروج كثيراً من مقالاتهم بعباراته البليغة وحسن براعته اللطيفة)) (٧٧) .

لقد كان اصطناع الجاحظ صناعة التأليف والكتابة من الاحداث البارزة في تاريخ الكتاب العربي ومن الحدود الظاهرة في تطوره فقد خطا به خطوة جديدة وسلك فيه مسلكاً جديراً بذلك العقل الفنان فلقد عالجها الجاحظ وتهيأ لها فاعتبر الكتاب شيئاً مستقلاً وصورة كاملة في نفسها تؤدي وظيفتها منفردة عن صاحبها لا شيئاً تابعا له معلقاً به (٧٨) .

ففي سنة ٢٠٠ هـ انتقل الجاحظ الى بغداد وفيها اخذت شهرته تظهر لما عرف عنه من قدرة على التأليف والكتابة وبدأ نجمه يسطع خصوصاً عندما قرأ الخليفة كتابه في الامامة فأعجب به وقد وجده على ما أمر به وبناء عليه أمر اليزيدي بالنظر فيه كي يعرف ما فيه واثنى اليزيدي على الجاحظ مما جعل المأمون يستدعيه كي يثني على عمله وسأله ان يكتب له رسالة في العباسية والاحتجاج لها ففعل وقدمه للخليفة (٧٩) فلقد عرف الامراء والكبراء فضل الجاحظ وشهدوا بنبوغه وعبقريته فقربوه وأدنوه في مجالسهم وعمروا أوقاتهم بجليل علمه ورفيع أدبه واغدقوا عليه من الهدايا والعطايا ما كفاه و اغناه (٨٠) .

فلقد كان على صلة فكرية بالمأمون يقدر الخليفة لعبقرتيه و اعتزاليته ويقدر هو الخليفة لسعة ثقافة وميوله الاعتزالية وعظمة الخلافة في عصره (٨١) .ترافقت مع نشأة الجاحظ ظروف ملائمة فزادتها خصوبة وتمثل هذا الظرف باهتمام الخلافة العباسية الكبير والواسع بشؤون الثقافة والادب والعلم والفكر اتساقاً مع منهج الدولة الاسلامية في عصرها الجديد بتحويل الاهتمام الأكبر للدولة من النشاط العسكري الى النشاط المدني والحضاري فلا غرابة اذن ان يجد الجاحظ لنفسه مكاناً بدأ مقبولاً ليصبح مرموقاً الى حد كبير وعلى مستويات وميادين عديدة (٨٢) . وبموجب هذه الصلة وبفضل ما امتلكه من مواهب بلاغية وقدرات معرفية ظهر بوصفه كاتباً شبه رسمي واجبه اذاعة ونشر وتفسير الأوامر الحكومية او الافكار الدينية التي مالت اليها السلطة ثم الدفاع عن العباسيين وتبرير وجودهم في السلطة وربما قاده ذلك ايضا الى الاسهام في صنع سياسة الدولة وصياغة مقولاتها والمشاركة في توجيهها (٨٣) .

ولقد كتب الجاحظ في الامامة كتباً مختلفة نستطيع ان نعرف طائفة من اسمائها من فهارس كتبه ومن هذه الفهارس نرى ان الجاحظ كتب في الامامة من حيث هي ومن جهة الاسباب التي توجبها وتجعلها امراً ضرورياً لا يستقيم المجتمع بدونه اكثر من كتاب فله من ذلك كتاب عنوانه وجوب الامامة واخر في موضوعه عنوانه الدلالة على ان الامامة فرض كما كتب في عرض مذاهب الطوائف المختلفة فيها ومناقشتها كتباً عده فله في ذلك كتاب العثمانية وكتاب امامة معاوية وكتاب امامة بني العباس وكتاب الامامة على مذهب الشيعة وكتاب حكاية قول اصناف الزيدية وكتاب الرافضة (٨٤) .

واحيل اليه مرات عديدة وضع الكتب والرسائل في موضوعات ارادتها السلطة ان تذيع وتنشربين جمهور الناس فكفى لها ان اقترنت باسمه ليلتقطها الناس وهو امر أدركته السلطة جيداً فأفادت منه فكلفه المأمون بوضع رسائل في موضوع الامامة وكلفه المتوكل بوضع رسالة في الرد على النصارى (٨٥) .

ويبدو ان كتابات الجاحظ عن الامامة قد تركت صدى حسناً في نفس الخليفة المأمون وقد عبر الجاحظ عن اتصاله بالمأمون بقوله ((ولما قرا المأمون كتبي في الامامة فوجدها على ما أمر به وصرت اليه وقد كان أمر اليزيدي بالنظر فيها ليخبره عنها قال لي : قد كان بعض من يرتضى عقله ويصدق خبره خبرنا عن هذه الكتب بأحكام الصنعة وكثرة الفائدة فقلنا له : قد تربى الصفة على العيان فلما رأيتها رأيت العيان قد أربى على الصفة فلما فليتها أربى الفلى على العيان كما أربى العيان على الصفة وهذا كتاب لا يحتاج الى حضور صاحبه ولا يفتقر الى المحتجين عنه وقد جمع استقصاء المعاني واستيفاء جميع الحقوق مع اللفظ الجزل والمخرج السهل فهو سوقي ملوكي وعامي خاصي)) (٨٦) .

ولعل الجاحظ كان اول من اتخذ التأليف صناعة له يبرز بها نفسه ويظهر فيها مواهبه ويستجيب بها لنزوعه الفني ومن ذلك جاء الكتاب الجاحظي نمطاً جديداً في التأليف يجمع بين بسط العبارة وجمالها ويتجه الى جمهرة القراء على اختلاف قواهم ومداركهم لا الى طائفة خاصة منهم فهو عامي وخاص كما يقول المأمون في كتاب من كتب الجاحظ (٨٧) .

يظهر مما تقدم ان الخليفة المأمون قد وجد في كتابات الجاحظ عن الامامة ما يلتقي مع قناعاته ويساعده في تقوية حجة الخلافة العباسية في مواجهة خصومها لذا فقد امر بإحضاره من البصرة ليكون قريباً منه وكان

المأمون مقيماً آنذاك في مرو ((وبذلك انتقلت شخصية الجاحظ من البصرة الى ما وراء العراق ثم اقتحمت ارفع بيئة ثم اذن لها على الخليفة نفسه فنالت الحظوة عنده)) (٨٨) .

فلقد توطدت صلة الجاحظ بثمامة بن اشرس وكان شيخا من شيوخه اخذ منه (٨٩) فكان واسع النفوذ قوي الحجة عظيم السلطان وعلا شأن ثمامة ايام المأمون ويظن بعض الباحثين ان الجاحظ كتب كتابه عن امامه معاوية دفاعا عن رأى ثمامة ومحاجة عن صنيع الخليفة وتسفيها لراي النابتة الذين اثارتهم استجابة المأمون للمعتزلة وركوب هذا المركب في لعن بعض الصحابة (٩٠) ومن المحقق ان ثمامة استطاع ان يفرض على الدولة رايه في توجيه سياستها الدينية (٩١) لم يقنع المؤرخون برواية الجاحظ التي تشير الى سبب بالمأمون فذهبوا الى ان معتزلة كثمامة بن اشرس وغيره هم الذين مهدوا الطريق له الى البلاط فكانوا ذوي حظوة عند المأمون اتخذهم مستشارين له واعواناً وقالوا ان المأمون لم يقتصر على ابداء اعجابه بكتب الجاحظ وانما عينه رئيساً لديوان الرسائل غير ان الجاحظ لم يمكث في منصبه الهام هذا سوى ثلاثة ايام اذ استعفى منه (٩٢) .

ومن ثم نشط الجاحظ في معالجة مسائل الامامة التي اشتجرت حولها الاهواء والعقول في الكوفة والبصرة وكانت موضع اهتمام الخليفة المأمون خاصة (٩٣) . وتجد رسائله حول هذه المسالة طريقها الى دار الخلافة وتعرض على المأمون وتنال الحظوة عنده (٩٤) . وكان ثمامة بن اشرس هو حلقة الوصل بين المأمون والجاحظ فعن طريقه وصل الى المأمون كتاب الجاحظ في الامامة الذي اعجب به المأمون واذن للجاحظ ان يدخل عليه وان يكون من جلساءه (٩٥) .

كما ان موقف قادة المعتزلة وجلهم كانوا من اهل البصرة كانت بعيدة عن الصراعات السياسية الحادة التي كانت تدور في بغداد وخراسان وغيرها من الاقاليم لذا فقد فضل الخليفة المأمون التعاون معهم والاعتماد عليهم في ادارة الدولة حتى غدا الاعتزال مذهباً رسمياً للخلافة العباسية وكان من ابرز رجال المعتزلة الذين اعتمد عليهم ثمامة ابن اشرس فقد ذكر ان منزلة ثمامة عند المأمون ((فوق منزلة الوزراء فلقد عرض عليه ان يلي الوزارة بعد موت الفضل بن سهل فأباها ولكنه كان مع هذا صاحب الرأي فيها اذ كان صاحب الرأي في اختيار الوزير وترشيحه فهو الذي رشح للوزارة احمد بن خالد الاحول ثم رشح بعده يحيى بن اكثم وكذلك كان صاحب القول في توجيه سياسة الدولة)) (٩٦) .

وان ازدياد ميول الجاحظ للعباسيين يرجع الى انهم (العباسيين) قد فسحوا المجال للمعتزلة فأصبح نشاطهم واسع النطاق لاسيما بعد ان اصبح هذا المذهب مذهباً رسمياً للدولة العباسية في حقبة من حقب تاريخهم بعد ان طارد الامويون المعتزلة وقتلوا بعضاً من رجالها (٩٧) .

لقد ساعدت هذه الظروف بمجملها الجاحظ وجعلته يحتل مكاناً مرموقاً بين رجال الصفوة الحاكمة بحكم مواهبة الفكرية والادبية ومنزلته العالية بين المعتزلة فقد روى الاصبهاني عن الجاحظ انه حينما القي القبض على ابراهيم بن المهدي وهو عم الخليفة في سنة ٢١٠ هـ وقدم الى المأمون لمحاسبته امر ثمامة بن الاشرس بإحضار الناس على مراتبهم لحضور مجلس المحاسبة وكان الجاحظ من جملة الحاضرين (٩٨) .واستطاع

بهذه الكتب والرسائل ان يحقق مكانة رفيعة واصبح من المقربين من الخلفاء ورجال الدولة وكان يتردد على ديوان الرسائل ويخلف ابراهيم بن العباس الصولي على رئاسته (٩٩) .

وبتأثير ثمامة اسندت الى الجاحظ مهمة رسمية في البلاط وهي ادارة ديوان الرسائل وهذا الديوان يختص بأهم ما يدور عليه محور السياسة العامة للدولة ولا يتولاه الا الحاذق الذي ضرب بالسهام الوافرة في مختلف العلوم والآداب وصاحب السياسة والتدبير والمتفوق في صنوف البلاغات وضروب الابانات (١٠٠) كما ذكر ياقوت الحموي ان ابا دلف الكاتب قال ((صدر الجاحظ في ديوان الرسائل ايام المأمون ثلاثة ايام ثم انه استعفى فأعفى وكان سهل بن هارون يقول : ان ثبت الجاحظ في هذا الديوان افل نجم الكتاب)) (١٠١) .

اما الاستاذ شفيق جبري فيعلق على هذه المسالة فيقول ((ان رجلاً قد شعر من نفسه بهذه العظمة ليصعب عليه ان يكون في ديوان مسلوب الارادة فيه يعمل لرجال ربما يعتقد انه ارفع منهم منزلة واعلى شأناً فما وسعه الا تراك الديوان حتى ينبسط في افق أعلى فلم يخلق لأمثال هذه الدواوين التي لا تخلو من القيد)) (١٠٢) على ان هناك فريق من الادباء وعلى رأسهم الاستاذ محمد كرد علي قد لام الجاحظ على فعلته هذه باستعفائه من ديوان الرسائل وقال ((لم أر اغبن من الجاحظ لنفسه وان كان أوحد البلاغة في عصره فما باله يلتمس شرف المنزلة بشرف الصنعة وقد رأى ابن الزيات والصولي بلغا فيهما ما بلغا وهو يلتمس فوائدهما والجاه بهما)) (١٠٣)

واتخذ الجاحظ وظيفة أو عملا يعيش منه وحين تتهيأ له اسباب الرزق في وظيفة كاتب ديوان الرسائل زمن المأمون يرفضها بعد ان يباشر عمله مدة ثلاثة ايام فقط وحتى يسأل كيف كان يعيش يرد على السائل قائلاً ((انما انا وجارية وجارية تخدمها وخادم وحمار اهديت كتاب الحيوان الى محمد بن عبدالملك فأعطاني خمسة الاف دينار واهديت كتاب البيان والتبيين الى ابن ابي دؤاد فأعطاني خمسة الاف دينار واهديت كتاب الزرع والنخل الى ابراهيم بن العباس الصولي فأعطاني خمسة الاف دينار فانصرفت الى البصرة ومعي ضيعة لا تحتاج الى تجديد ولا تسميد)) (١٠٤) . اذن الجاحظ من اولئك الذين عاشوا من كتاباتهم وهذه نقطة مهمة ان كاتب يعيش من نتاجه الادبي يكتب في كل موضوع تقريبا في فترة من ادق الفترات واكثرها حساسية بالنسبة للفرق والمذاهب السياسية والاتجاهات الفكرية وهو كذلك يعيش من نتاجه الادبي الذي يهديه الى اهم رجالات الحكم والنفوذ حينذاك وكذلك يذكر ياقوت الحموي انه كان يتسلم مشاهرة على كتاباته من الخليفة العباسي نفسه (١٠٥) نستنتج من هذا ان الجاحظ كان متكلما باسم البلاط العباسي (١٠٦) .

وفي قضية خلق القران التي امتحنت بها الدولة الناس وحملتهم على هذا المذهب وضع الجاحظ – بإشارة من الخليفة – عدداً من رسائله المعبرة عن رأي الخلافة بوجهها المعتزلي في هذه المسألة الشائكة كرسالته في خلق القران (١٠٧) ورسالته في نفي التشبيه (١٠٨) .ورسالته في الرد على المشبهة (١٠٩) .

وعاصر الجاحظ محنة القول بخلق القران واشترك في تفاصيلها ودافع عن المأمون دفاعاً مجيداً في سياسته في هذه المشكلة (١١٠) .

وللجاحظ ملاحظات عديدة يدافع بها عن العباسيين ويثني على منجزاتهم في كتبه ورسائله كما دافع الجاحظ عن عقيدته الاعتزالية التي كانت في عصره عقيدة الخلافة العباسية كذلك منذ عصر المأمون حتى نهاية عصر الواثق واشتراك الجاحظ في محنة القول بخلق القران فكتب رسالة في خلق القران ورد على

المعارضين في رسالته الرد عل المشبهة وثالثة في نفي التشبيه وخامسة في فضيلة الكلام وفي هذه الرسائل نجد الجاحظ ينزل المعتزلة منزلة خاصة فيقول ((لولا مكان المعتزلة لهلكت العوام من جمع النحل))(١١١).

واتخذت مسألة خلق القران مذهبا رسميا للدولة في عهد المأمون و أصبحت منذ هذا العهد تكاد تكون شاغل المعتزلة الاساس خاصة انها تقوم على اكبر اصل من أصولهم وهو التوحيد وعدم تعدد صفات الله ثم ان دائرة الجدل فيها اتسعت اتساعاً شديدا اخرجها من طابع المناظرة بين العلماء المؤيدين والمعارضين الى طابع المسالة العامة يناقشها جميع افراد الامة وينشد فيها كل طرف تأييد الرأي العام لوجهه نظره فغاب عن اذهان الكثيرين لب الخلاف في المسألة وتفرعت الى فروع شتى وتاهت في دروب الحياة بألوانها الاجتماعية و السياسية مما أحاق بالدولة من مشاكل واثار كادت تقصف بها حتى ان المتوكل لم يجد حسما للأمور وبعد ان رأى من قوى الرأي العام ضد الاعتزال الا ان يبطل القول بخلق القران بل انه اتجه الى الجانب المعارض للمعتزلة في هذه المسالة فأظهر الميل للمحدثين ووقف بجانبهم (١١٢) .

ولم يكن الجاحظ غائبا عن دائرة الجدل في هذه الحقبة من الزمن فالثابت انه بلغ منذ عهد المأمون الغاية في المركز الأدبي والاجتماعي وبالمثل كتب واستكتب راضيا راغبا في هذه المسألة وخلال هذه الحقبة فهو قد صنف في خلق القران كتابا ضاع من يد الزمن ولم يعد تحت أيدينا منه سوى صفحات قليلة مضطربة (١١٣) .

كتاب الترك و عامة جند الخلافة:

وبعد وفاة المأمون في سنة ٢١٨ هـ وتولى المعتصم للخلافة استمر الجاحظ في المحافظة على مكانته الرفيعة لان موقف المعتصم من المعتزلة كان استمراراً لموقف سلفه وكذلك كان الأمر في عهد الخليفة الواثق وحتى مجيء المتوكل للخلافة في سنة ٢٣٢ هـ حيث غير موقفه من المعتزلة ومال الى رجال الحديث (١١٤) وان لم يبدل من موقفه من شخص الجاحظ .

وانتقلت الخلافة العباسية من بغداد الى سامراء سنة ٢٢١ هـ وينتقل معها الجاحظ ليكون ايضا من المقربين للبلاط وجعلته يتصل بكبار رجال السياسة والادب كإبراهيم بن العباس الصولي والفتح بن خاقان ومحمد بن عبدالملك الزيات واحمد بن أبي دؤاد (١١٥) .

وكان المعتصم على ما يذكر المؤرخون ضعيف الكتابة لأنه عسكرياً بطبعه ورجل شدة وحرب على خلاف اخوته الأمين والمأمون وكانت الاجواء السياسية في تلك الفترة لا تخلو من مشاكل فاستوزر محمد بن عبد الملك الزيات وجعل الشخصية المعروفة احمد بن ابي دؤاد قاضياً للقضاة بعد ان عزل يحيى بن اكثم منها (١١٦) .

حاول الجاحظ ان يتصل بالخليفة المعتصم فلم يستطع فقد كتب رسالة (مناقب الترك) في أيامه وأراد ان يوصلها اليه ولكنها لم تصل لأسباب لا نعلمها واعتذر الجاحظ عن ذكرها معللاً ذلك بان الحديث عن تلك الاسباب يطول شرحها (١١٧) ولما زادت الخصومة بين العنصرين الفارسي والتركي في جيش الخلافة كلفه الفتح بن خاقان وزير المتوكل وكان من اصل تركي ان يكتب رسالة يلطف بها من حدة هذا التوتر فكتب رسالته المشهورة مناقب الترك وعامة جند الخلافة حيث اشرك غير الاتراك معهم فأرضى الجميع وخدم دولته بان هدأ الافكار الثائرة اذ لكلام الجاحظ سحره وتأثيره شديد على الناس (١١٨) .

اما بواعث تحرير هذه الرسالة واسباب احتباسها طيلة هذه الفترة حتى ظهرت في عهد المتوكل وما من ريب في انه كان للعوامل السياسية أثر قوي في كل هذا فما الذي دفع الجاحظ اولاً الى كتابة هذه الرسالة ؟ لقد

تولى المعتصم الخلافة بعد اخيه المأمون وكان مثله ممن يقدر النبوغ ويحتفل بالمواهب حيثما ظهرت فانفسح مجال التفوق في دولته امام العناصر غير العربية على ان نزعة المأمون كانت علمية كما هو معروف اما المعتصم فكان شجاعاً باسلاً رب سيف ورمح لا قلم ولا كتاب كان الخليفة الامي كما وصف نفسه في كثير من الصدق ولكنه تفرد الى جانب ذلك بصفات سامية في البأس والشجاعة فكان فارس بني العباس المعلم واضرب رجال دولتهم في البطولة بسهم (١١٩) .

ولقد استكثر من غلمان الاتراك في جيشه ليتقوى بهم على الخراسانية الذين نهضت على اكتافهم دولة المأمون واستقدم كثيراً من ابناء فرغانة وأشروسنة ليستعز ببأسهم على من كانت تموج بهم بغداد من مختلف طوائف الجند بين عرب وابناء وموال وخرسانيين وما نشك في ان الجاحظ كتب رسالته على هذا العهد متشيعاً بذلك للخليفة وحزبه ولقد كان الجاحظ اديباً موهوباً محظوظاً وقل في الادباء من يجمع بين هاتين الفضيلتين كان يحب ان يستفيد ثم هو يعرف كيف يستفيد ولكن تطور الأمور ألجاه – برغمه – الى ان يحبس رسالته حتى حين اذ كان التنافس قد اشتد وقتئذ بين هذه الطوائف المختلفة في اجناسها وجبلاتها المتباينة في اطماعها وفي اهوائها وتطورت الحال الى اكثر من هذا الى اصطدام دموي عنيف وفتنة هوجاء جامحة حيكت فيها الدسائس الخفية والظاهرة ودبرت الاغتيالات المحقة والمبطلة فطاحت رؤوس و أهدرت دماء وهاجت أوشاب من العامة بإيعاز من رؤساء الاجناد و ائتمرت الطوائف جميعاً بالأتراك الذين خصهم الخليفة بايثاره وبوأهم رفيع المناصب في دواوين حكومته وثكنات عسكره (١٢٠) .

وشهد عصر الجاحظ تزايد عدد الترك في المجتمع فقد جند المعتصم وهو رجل عسكري بالدرجة الاولى عدداً كبيراً من الترك في الجيش وقد اشار الجاحظ الى الترك كوحدة عسكرية ضمن وحدات الجيش كما واعد رسالة عن فضائل الترك سماها مناقب الترك وقدمها للخلافة العباسية ولاشك ان تأليفها كأن لأغراض سياسية محضة منها تهيئة المناخ السياسي الملائم لكي يتقبل المجتمع عامة والجند من الوحدات الاخرى خاصة الترك بين ظهرانيهم واقناعهم بأهمية وجودهم وفضائلهم والحاجة لخدمتهم ويشير الجاحظ الى انه كتبها بروح حيادية موضوعية اجتنب فيها مذاهب الجدال والمراء واستعمال الهوى كما وان هدفه حسم الموقف المتأزم بين الجند والترك والفئات المناهضة لهم والتأليف بيت قلوبهم وارضاء الجميع وحين يقارن الجاحظ بين الترك والخراسانية ويؤكد على الفارق الحضاري فالخراسانية حضر مستقرون والترك بدو متنقلون وهولاء الاخيرون هم الذين استخدمهم المعتصم الذي كان كما يقول الجاحظ ((اعرف الناس بهم حين جمعهم واصطنعهم)) (١٢١) . وحين يريد الجاحظ ان ينبه الخلافة العباسية الى خطر الترك وضرورة الحذر من تحركاتهم يقارنهم بالخوارج فيرى بين الفئتين صفتين متميزتين هما الخشونة والشجاعة والبداوة اولا والخطر على السلطة ثانيا وقد كان تحذير الجاحظ في محله تفاقم خطر الترك في اواخر ايامه (١٢٢) .

وانه كتب هذه الرسالة ايام المعتصم ولكنها لم تصل الى الخليفة لأسباب لم يذكرها يطول شرحها بزعمه فرأى مناسباً ان يهديها الى الفتح بن خاقان لان الحاجة اليها لاتزال ماسة والجاحظ في ذلك يصدر عن منهجه السياسي الذي اعتمده طيلة حياته ولم يحد عنه وهو يقضي بالتقرب الى الدولة ورجالها وعدم الابتعاد عنهم أو مهاجمتهم وبما ان المعتصم هو الذي قدم العنصر التركي واكثر منه في جيشه فقد ألف الجاحظ هذا

الكتاب الذي يرضي نزعة المعتصم ويؤيد سياسته وبما ان الفتح بن خاقان تركي الاصل فقد وجد صاحبنا من الملائم اهداءه هذا الكتاب ايضاً (١٢٣) .

ان رسالة مناقب الترك وعامة جند الخلافة من رسائل ادب المفاخرات وذكر المناقب وهو من الاغراض التي يرع فيها الجاحظ الذي ترك لنا مجموعة من الكتابات لم يدع فيها جنسا من الاجناس دون ان يجمع مناقبه ومثالبه ويوازن بينها وبين من ما تمتع به بقية الاجناس .

وقد كتب رسالته هذه في فترتين متباعدتين نسبياً اذ هو الف القسم الثاني منها والخاص بمناقب الترك ايام المعتصم بالله (٢١٨ هـ - ٢٢٧ هـ) فلم يصل اليه لأسباب يطول شرحها ثم بدا له ان يلحق بهذا القسم قسما اخر جعله اولا وقدم الكتاب على صورته التي وصلت الينا للفتح بن خاقان وزير الخليفة المتوكل (٢٣٢ هـ - ٢٤٧ هـ) وكان تركي الاصل (١٢٤) . ولابد من التذكير في هذا الصدد بأن الاتراك من العناصر التي لعبت دورا هاما في المجتمع الاسلامي في العصر العباسي فقد اعنى بهم الخلفاء عناية خاصة وكانت بداية ظهورهم في خلافة ابي جعفر المنصور (١٣٦ هـ - ١٥٨ هـ) (١٢٥) .

وتوالى حرص الخلفاء عليهم حتى بلغ ذروته مع الخليفة المعتصم فتكاثر عددهم وضاق بهم سكان بغداد فبنى لهم مدينة سامراء (١٢٦) وقد أظهر الاتراك من الشجاعة و الولاء للدولة الشيء الكثير فهذا يولبا التركي يقتل الوليد بن طريف الخارجي ويقضي على ثورته ايام الرشيد (١٢٧) وذاك الافشين التركي ايضا يقضي على ثورة الاقباط والعرب في مصر ثم على ثورة بابك الخرمي ويأتي به مقيدا الى المعتصم بعد ان اشتد خطره على الدولة(١٢٨)

غير ان هذا الولاء وتلك القوة بعد ان كانا مصدر قوة للدولة قد اصبحا سببا من اسباب ضعفها الى انهيار اركانها فقد كان الاعتماد على الاتراك والاكثار منهم خلاف مع بقية فصائل الجيش العباسي من عرب وموال هذا بالإضافة الى تأذي سكان بغداد منهم والنقمة عليهم وعلى من اصطنعهم وفي هذا الجو من التنافس والخلاف كتب الجاحظ رسالته هذا أو قل الجزء الاول منها لتهدئه الخواطر وازالة اسباب الخلاف بعد ان كان قد كتب الجزء الثاني ايام المعتصم اشادة بعنصر الاتراك وبلائه في الدفاع عن الدولة ولعل اشادته هذه كانت اثر انتصار الافشين قائد المعتصم على ثورة بابك الخرمي غير ان الامر تغير بعد ذلك واذا بالجاحظ يحاول التقريب بين عناصر هذا الجيش فاذا هو يعدل عن موقفه المناصر للأتراك أو قل يعدل منه بعض الشيء فيضيف الى الجزء الثاني جزءا اولا يذكر فيه مناقب بقية فصائل الجند العباسي ويحاول التوفيق بين الجميع يقول في الجزء الاول المضاف ((وكتابنا هذا انما تكلفناه لنؤلف بين قلوبهم التي كانت مختلفة و لنزيد الألفة ان كانت مؤتلفة)) (١٢٩) .

فالرسالة تعكس واقعاً سياسياً و اجتماعياً عاشه الجاحظ وتأثر به وحاول التأثير فيه ومن هذه الناحية فقد حوت جملة من الاراء السياسية والاجتماعية .

ويظهر اثر الدوافع السياسية والاعتبارات الشخصية وراء العديد من الرسائل التي ألفها على ان ذلك لايعني بان الجاحظ قد سخر قلمه لخدمة البلاط العباسي او ان الخلافة العباسية قد استخدمته لضرب خصومها بل ان الجاحظ كما يبدو لنا كان يدافع عما يؤمن به عن عقيدة واخلاص ولا لما ظهرت كتاباته قوية الحجة بليغة اللسان في احيان كثيرة (١٣٠) .

ويبدو ان العلاقة الطيبة بين الجاحظ والفتح بن خاقان قد توطدت اواصر التعاون و التازر بينهما على خدمة الخلافة قد تواصلت بدليل ان الجاحظ قد قام بتأليف رسالة في مناقب الترك وعامة جند الخلافة وجهها الى الفتح بن خاقان وقد اراد الجاحظ من تأليف هذه الرسالة تعميق اواصر الاخوة بين جميع عناصر جند الخلافة في مواجهة اولئك الذين يريدون اشاعة روح الفرقة والانقسام (١٣١) .

والغرض الذي رمى اليه الجاحظ من الكتاب مناقب الترك وعامة جند الخلافة هو الألفة بين قلوب ابناء الشعوب التي تشكل الدولة العباسية كانت تلك الدولة المترامية الاطراف تضم عدة شعوب مختلفة الأصل واللغة والاخلاق ولم يستطع الاسلام الذي اجتمعت ان يصهرها صهراً كاملاً في بوتقة فظل كل شعب منه متعلقاً بتراثه وماضيه ولغته وطباعه ونشأت الخصومات بينهم على الصعيدين الفكري والعسكري (١٣٢) واهم تلك الشعوب التي كونت الدولة العباسية العرب والفرس والاتراك والسودان اضف الى ذلك شعبين مولدين هما الموالي والابناء وكل من تلك الشعوب يعتز بخصائصه ويتمسك بها ويدل فيها على الشعوب الاخرى وقد تمثل ذلك في الحبش الذي كان يضم الخراساني والتركي والمولى والعربي والبنوي (١٣٣) .

وان رسالة الجاحظ في مناقب الترك وعامة جند الخلافة وانها لأية من آيات الجاحظ تقفنا من تفكيره على صورة جميلة وترسم لنا خطوطاً واضحة المعالم لبعض وجوه تصرفه في الكتابة والتصنيف وهو يبدو في هذه الرسالة عظيم الاحتفاء بشئون السياسة على عهده قوي المساهمة بقلمه وذهنه في خدمة قضية يراها جديرة بأن يعمل لها ويسعى في سبيلها .

كتب هذا الى الفتح بن خاقان وزير المتوكل في المشكلة التي كان يراها رجال الدولة من أهم ما يعالج يومئذ وهي مسألة اللغط في الجيش من تسرب الاتراك اليه ومن يقرا رسالته في مدح الاتراك لا يصعب عليه ان يدرك ان الجاحظ على بلاغته ولطيف حيلته كان هنا يجمجم ولا يصرح هو بحكم دمه وتربيته ومنشئه يحب العرب ويعد سائر الامم دونهم في المنزلة والجنس ويرى ان النساء العرب في الجملة اعقل من رجال العجم (١٣٤) .

كما يظهر كذلك الدافع الذي حمله على تصنيف رسالتين هامتين اخريين في هذا العهد هما (رسالة ذم الكتاب ورسالة في الرد على النصارى) فالمؤرخون يخبروننا ان المتوكل قد سخط على الكتاب ونكبهم وراح يستبدل الواحد منهم بالأخر وقال لأسحق بن ابراهيم انظر لي رجلين احدهما لديوان الخراج والاخر لديوان الضياع فقال هما عندي يحيى بن خاقان و موسى بن عبدالملك بن هاشم وكان يحيى محبوساً مثل اسحق بأموال كان يطلب بها في ولاية فارس وموسى محبوساً ايضا فاحضرهما فولى يحيى بن خاقان ديوان الخراج وموسى ديوان الضياع وعندما سخط المتوكل على محمد بن الفضل كاتب ديوان التوقيع عين مكانه عبيدالله بن يحيى بن خاقان (٢٤٧ هـ) وكذلك سخط على نجاح بن سلمة الكاتب لأنه كان ينتضخ بأموال الناس فقبض عليه وسلمه الى موسى بن عبدالملك بن هاشم صاحب ديوان الخراج والى الحسن بن مخلد بن الجراح صاحب ديوان الضياع فعذبه الاول اياماً حتى توفي وصودرت ضياعه ودوره وامواله (١٣٥) .

ومجاراة لسخط الخليفة الف الجاحظ رسالته الشهيرة في ذم اخلاق الكتاب وفيها يشن عليهم حملة لا تترك لهم محمدة ولا تستر عيباً (١٣٦) .

ويبلغ من حقد الجاحظ على الكتاب انه الف رسالة ثانية طويلة في واحد منهم هو احمد بن عبدالوهاب اسماها ((رسالة التربيع والتدوير)) ويهزأ فيها منه ويصوره تصويراً كاريكاتورياً فهو مربع مدور ولكنه جاهل

احمق لا يفهم شيئاً ويدعي معرفة كل شيء ثم يطرح عليه مسألة في الفلسفة والطبيعيات والتاريخ واللغة فلا يجد جواباً (١٣٧) .

وهكذا يرجع احد الباحثين يمكن ان نعزو نقمة الجاحظ على الكتاب الى الاسباب التالية مجاراة المتوكل في سخطه على الكتاب و التأثر بموقف المعتزلة وظنهم السيء بهم وعامل شخصي يعود الى تجربة الجاحظ في مطلع حياته مع الكتابة في الديوان لقد جعله المأمون رئيس الديوان ولكنه استعفى من منصبه بعد ثلاثة ايام لأنه على الارجح لم يطق حياة الدواوين وما تفرض من رصانة ووقار ومهابة وهو الانسان القبيح المنظر الضاحك المزاج (١٣٨) .

وهكذا فقد تمتع الجاحظ لمدة تزيد على الثلاثين سنة بمركز رفيع من الخلافة بسبب تبنيها لمذهب الاعتزال واعتمادها على رجالهم في الادارة والدعوة لقد شعر الجاحظ في هذه المرحلة بعز السلطان ونفوذه وربما راودته نفسه لبلوغ مقام اعلى وارفع مما هو فيه (١٣٩) وكان مما ساعد على تقوية مركز الجاحظ صداقته العميقة مع محمد بن عبدالملك الزيات الذي تولى الوزارة في عهد الخليفة المعتصم والواثق وحتى عهد المتوكل (١٤٠) وقد اصبح الاعتزال المذهب الرسمي للدولة منذ خلافة المأمون واستمر ذلك حتى مجيء المتوكل ولما كان الجاحظ من شيوخ المعتزلة فقد كان من المؤيدين له واخذ يدافع عن الخلافة ضد خصومها من خلال كتبه ورسائله وبذلك نال حظوة لدى الخلفاء ورجال الدولة وبدأ يتردد عليهم ويجتمع بهم ويطلع عن كثب على ما يجري في أروقة الخلافة من مناظرات ولقاءات و احاديث وكان الجاحظ على علاقة وثيقة مع محمد بن عبدالملك الزيات وزير الخليفة المعتصم فقد اقطعه اربعمائة جريب (١٤١) . فانه كتب كثيرا من مؤلفاته بوحي من بعض المسؤولين في الخلافة العباسية وهناك ما يشير الى انه كان يتسلم هبات أو حتى مشاهرة على كتاباته وانه ربما كان يعيش من كتاباته بالدرجة الاولى لكن من المهم ان نلاحظ ان الجاحظ يتمتع بقابلية فذه في عرض الفكرة الواحدة وعرض نقيضها والدفاع عن كلا الجانبين بنفس الحماس وبنفس القابلية دون ان ينحاز الى واحدة منهما وكتبه في ذم الشيء ومدحه في ان واحد يمكن ان تكون مثلا بارزا على هذه القابلية قابلية التضاد في التفكير والقابلية في بناء الشيء ونقضه وقد تكون صفة الجاحظ هذه مظهرا من مظاهر الحياة الفكرية لعصره الذي امتاز بالشك والتفكير واعادة النظر في اكثر المقاييس والمذاهب (١٤٢) .

لقد كانت الخلافة في عهد المتوكل تشعر بحاجتها الى فكر وقلم الجاحظ لذا فقد حرص الفتح بن خاقان وزير المتوكل ((وكان له نصيب من العلم ومنزلة من الادب)) (١٤٣) كما يقول المسعودي على الاستعانة بالجاحظ في مواجهة بعض التحديات الفكرية القائمة آنذاك فقد كلف الفتح بن خاقان الجاحظ بناء على طلب الخليفة ان يؤلف كتاباً في الرد على النصارى بعد ان بعث الفتح رسالة كتبها من عاصمة الخلافة ببغداد الى ابي عثمان بالبصرة وقد جاء فيها ووجه ابن خاقان كتاباً الى الجاحظ يستحثه على تأليف هذا الكتاب وكان مما جاء فيه ((ان امير المؤمنين يجد بك ويهش عند ذكرك ولولا عظمتك في نفسه لعلمك ومعرفتك لحال بينك وبين بعدك عن مجلسه ولغصبك رأيك وتدبيرك فيما انت مشغول به ومتوفر عليه وقد كان القي الي من هذا عنوانه فزدتك في نفسه زيادة كف بها عن تجشيمك فأعرف لي هذه الحال واعتقد هذه المئة على

كتاب الرد على النصارى وافرغ منه وعجل به الي وكن من جدا به على نفسه تنال مشاهرتك وقد استطلقته لما مضى واستسلفت لك لسنة كاملة مستقبلة وهذا مما لم تحتكم به نفسك وقد قرات رسالتك في بصيرة غنام ولولا اني ازيد في مخيلتك لعرفتك ما يعتريني عند قراءتها والسلام)) (١٤٤) . ومن خلال هذا النص نفهم ان الجاحظ كان يعيش في عهد الخليفة المتوكل في اموال وافره ونفوذ عريض ونفهم ايضا ان السلطة العباسية المتمثلة بشخص الخليفة والوزير كانت ترى في الجاحظ احد المروجين لها والمدافعين عن سياستها مع الكثير من الفرق والتيارات الفكرية التي كانت سائدة آنذاك فاحتاجت الى من يرد على حجج الخصوم بأسلوب بليغ وجزل وعميق وحجج داحضة فلم تجد تلك المواصفات الا في ابي عثمان الذي تصدى للرد على النصارى فكان عند حسن ظن السلطة السياسية للدولة بقلمه وافكاره (١٤٥) .

اصبح الكتاب في العصر العباسي الاول احد اهم وسائل الاعلام ومن اقوى اسلحة الدولة وأدواتها في مواجهة خصوم الخلافة العباسية الناشئة فلم يعد الامر يقتصر على الخطباء والشعراء لنقل الاخبار وكانت الدولة تعطي على الكتاب ما لا تعطي على سواه ولربما عطي صاحبه وزن كتابه ذهباً واشتهر عن الخلفاء العباسيين حبهم للعلم وسلك امراؤهم ووزراءهم هذا المسلك وكان لكل منهم مجلساً يوازي بلاط السلطان وكان الخلفاء العباسيون يبحثون عن كل وسيلة لمحاربة كافة خصومهم ولتثبيت حكمهم ودفع المخاطر التي تحدق بدولتهم التي ملأت اركان الدنيا الاربعة (١٤٦) .

كتاب الرد على النصارى :

اما رسالة الجاحظ في الرد على النصارى فتعكس ايضاً سياسة الدولة في عهد المتوكل لقد غضب هذا الخليفة على اهل الذمة فضيق عليهم وامر النصارى سنة ٢٣٥ هـ بان يلبسون ثياباً مميزة عسلية اللون ومنعهم من ركوب الخيل والبراذين والاقتصار على ركوب البغال والحمير بركب الخشب والسروج ذات الأكر كما امر بان يضعوا على ابوابهم خشباً فيها صور الشياطين (١٤٧) .

وترك الجاحظ عاصمة الخلافة عندما احس ببوادر الضعف تسري في عروقها وبدا نجمها يميل الى الافول واصبح الخلفاء منذ عهد المتوكل العوبة بيد القادة الاتراك ومعظمهم اما خلع أو قتل فاثر ان يبتعد عن العاصمة وتركها قبيل مقتل المتوكل سنة ٢٤٧ هـ وعاد الى مسقط راسه البصرة وقضى السنوات الباقية من عمره مريضاً غير ان مرضه لم يمنعه من التأليف (١٤٨) .

وهكذا انتصر الجاحظ بأدبه على خصومات السياسية وارتفع على التهمة وان عبقريته كانت ابعد مدى من ان تدخل في الصراعات المنتهية فان فكره لم يخلق لعصره وانما خلق للعصور الاتية لتبقى خالداً في ادبه الانساني الذي يشع بالتسامح والحب والانصاف (١٤٩) .

وبعد ان قتل الخليفة المتوكل ووزيره ابن ابي دؤاد على يد الاتراك سنة ٢٤٧ هـ بدأت فوضى الحكم والتسلط التركي عاش فيها الجاحظ وشاهد الاحداث عن قرب وشهد عهود ثلاثة خلفاء اخرين وهم المنتصر والمستعين والمعتز من ٢٤٨ هـ – ٢٥٥ هـ فأثر الابتعاد عن تلك الاحداث الدامية والصراعات المريرة التي شهدتها دولة الخلافة في سامراء وبغداد ورجع الى مسقط رأسه ومرتع صباه وشبابه في البصرة (١٥٠) .

وكانت هذه المرحلة مباركة ففيها وضع الجاحظ اكبر كتبه واعظمها منزلة وابعدها اثراً في المجتمع العربي ولعل العزلة أو شبه العزلة التي اتيحت له في البصرة بعيداً عن السلطان وعن تلك الحياة السياسية والاجتماعية المعقدة ما مكن له من التفرغ لتصنيف الكتب المطولة وجعله يحييه حياة خالصة للقراءة والكتابة (١٥١) . وهكذا نلاحظ ان الجاحظ قد استطاع ان ينال في حياته احترام واعجاب الخلفاء والوزراء على اختلاف نزعاتهم وميولهم فضلاً عن المكانة التي احتلها في نفوس العامة والخاصة في عصره وحتى الوقت الحاضر (١٥٢) .

وازاء مخاطر الاجانب والمتسلطين على الخلافة يعبر الجاحظ عن مرحلة استبداد الاتراك على السلطة وتهالكهم عليها بعد ان كان العصر العباسي الاول عصر قوة الخلافة وانتهى بمقتل المتوكل بدأت الحقبة الثانية التي اتسعت بالنفوذ التركي حيث ظهر الاتراك الذين استعان بهم الخلفاء منذ عهد المنصور وازداد عددهم في عهد المعتصم وبرز خطرهم وتأمرهم على الدولة بعد قتلهم المتوكل الامر الذي زاد من ضعف الخلافة ولم يعد للخليفة سوى السلطة الاسمية اما السلطات الحقيقة السياسية والمالية والادارية فكانت بيد القادة العسكريين الاتراك وبهذا الصدد ينتقد الجاحظ ظاهرة التهالك على الحكم والطمع فيه من الاجانب ويعبر عن حرصه الشديد على الخلافة والخلفاء فيقول:

حب الرياسة داء لا دواء له وقلما تجد الراضين بالقسم

ثم يقول ولم يخل زمن من الازمنة من هذه الطبقة ولا يخلو وهلاك من هلك من الامم فيما سلف بحب الرياسة وكذلك من يهلك الى انقضاء الدهر فيحب الرياسة .وقد قيل هلاك الناس منذ كانوا الى ان تأتى الساعة بحب الامر والنهي وحب السمع والطاعة (١٥٣) .

اما كتاب فخر السودان على البيضان فانه يشبه كتاب مناقب الترك وعامة جند الخلافة في الموضوع والنوع فهو يعدد مفاخر العرق الاسود كما عدد مناقب الترك وعامة جند الخلافة مفاخر البيضان من خراسانيين وعرب واتراك وابناء وموال وهو ينطوي مع كتاب مناقب الترك في الغاية التي يرمي اليها الجاحظ وهي التسوية بين العرب وسائر الشعوب التي تشتمل عليها الدولة العباسية والتقريب بينها واستئصال الاحقاد من قلوب ابنائها لتستطيع العيش بوئام وسلام وهذه هي القاعدة التي تقوم عليها سياسة بني العباس والتي يؤيدها الجاحظ غير ان رسالة فخر السودان على البيضان كرسالة الترك تصور لنا الحركة الشعوبية تصويراً واضحاً ان هذه الشعوب تحاول ان تثبت وجودها وتمايزها وفضائلها ومأثرها وتفوقها على العرب (١٥٤) .

كتاب البيان والتبيين :

ولقد اعتنى الجاحظ بكتاب البيان والتبيين عناية خاصة واشبع عنوانيه تفصيلاً وشرحاً وادلة من خطب العرب واشعارها والادب الفارسي والهندي حتى بات كل اديب وكاتب وخطيب في اي لون من الوان العلوم يعده مرجعاً فالخطيب على منبر المسجد أو في ساحة القتال أو في خطبة النكاح او في خطبة العزاء بحاجة اليه والشاعر في بلاط السلطان والكاتب في الديوان ومعلم الصبيان في الكتاتيب ومؤدب الامراء في القصور لا غنى لهم عنه ولربما احتاجه الطبيب والكيمائي وتجاوز الفقيه والمفسر فاستعان به والحقبة التاريخية التي صدر فيها الكتاب و الظروف السياسية والاجتماعية كانت اهم الدوافع الكتابية وواضحة المعالم فيه وموجهة لأفكاره ومقاصده واهدافه (١٥٥) .

والنظر في كتاب الجاحظ البيان والتبيين وقراءة ما بين سطوره يظهر هذا الكتاب الأدبي النادر بصورة اخرى وانه ليس مجرد أصل من أصول اللغة أو ديوان من دواوين الادب وانه كتاب ذو طابع سياسي وانه وسيلة اعلام فائقة في خدمة بلاط السلطان والذب عنه والدعوة اليه .

اما الشعوبية ودعاتها (الفرس - خاصة – والترك ممن دخلوا في الاسلام) فقد جرد عليهم الجاحظ كل اسلحته الادبية واظهر كل عيوب نطقهم وعجزهم عن الاتيان ببعض الحروف فضلاً عن اخراجها من مخارجها بشكل صحيح وكانوا المادة الدسمة لنقد الجاحظ دفاعاً عن العرب ومكانتهم وكانت الخلافة حتى ذلك اليوم من قريش والسلاجقة والبرامكة (الفرس او الترك) لم يكونوا بعد في العسكر ولا قادة للجيش وكانت تدور حرب خفيفة بين دعاة الشعوبية ودعاة العروبية جوهرها احقية الخلافة والحكم وان الاسلام أوسع من العروبة ووجد انصار الشعوبية في شعر الهجاء العربي ونشره ما يكفي لتقويض امجاد العرب في الكرم وانهم ليسوا مضرب المثل في السخاء وانهم كسائر الشعوب (ليسوا مختارين) فيهم الكريم والبخيل وفيهم الشجاع والجبان وليس فيهم ما يميزهم كثيراً عن غيرهم ولا يعطيهم هذا الكرم والسخاء الحق في الانفراد في الخلافة والحكم فكان لابد من حملة اعلامية مضادة ثقف في وجه الشعوبية وترد عليهم فكانوا الموضوع الابرز في النقد والسخرية واخبارهم ونوادرهم في البخل والغباء وعيوب النطق والكلام مجال تلك السخرية والتندر بهدف التقليل من مكانتهم ولشن هجوم مضاد عليهم ولتحجيم هجمتهم على الدولة وخلفائها من العباسيين (١٥٦) .

فمن امثلة ذلك ان جاء الجاحظ بما ذكرته دعاه الشعوبية وعابت به العرب انها تخطب وفي يد الخطيب عصاً أو قوساً فرد عليهم الجاحظ بعشرات الصفحات لتوضيح اهمية العصا وانها من الشجر وان الشجرة اخرجت ادم عليه السلام من الجنة وانجت نوحاً عليه السلام من الطوفان ومات سليمان عليه السلام متكئاً على منسأته (عصاه) وانها معجزة موسى عليه السلام (١٥٧)

كتاب البخلاء :

اما عن دوافع الجاحظ الى بخلائه هو العصبية الجنسية بين العرب والشعوبية فان الحديث عن البخل والبخلاء فقد كان من مقومات ذلك الحديث هو الخصومة الجنسية التي ثارت بين العرب والشعوبية فقد كانت الشعوبية تحط من شأن العرب وترد عليهم فخرهم التقليدي بالكرم ويؤكد الجاحظ هذا بقوله ((ان الشعوبية والاراد مردية المبغضون لال النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ممن فتح الفتوح وقتل المجوس وجاء بالاسلام تزيد في جشوبة عيشهم وخشونة ملبسهم وتنقص من نعيمهم ورفاغة عيشهم)) وهكذا كانت الشعوبية في عصر الجاحظ تتصيد الامور التافهة السهلة المتعلقة بالمأكل والملبس الى غير ذلك مما هو من لوازم البداوة حتى يقولوا للعرب انى تكون الدعاوى العريضة التي يتشدق بها الشعراء مع هذه الحياه الخشنة الدنيئة (١٥٨) .

كذلك وقع الشعوبيون على اشعار العرب في باب الهجاء والهجاء قائم على التجني والاتهام الفاحش فيقول الجاحظ ((والعرب اذا وجدت رجلا من القبيلة قد اتى قبيحا ألزمت ذلك القبيلة كلها كما تمدح القبيلة بفعل جميل وان لم يكن ذلك الا بواحد منها فتهجو قريشا بالسخينة وعبد القيس بالتمر)) (١٥٩) .

عاش الجاحظ في فترة صراع حاد بني المفاهيم العربية الاسلامية بكل ما تمثله من قيم ومثل وتقاليد والمفاهيم التي عملت على هدم الكيان العربي الاسلامي واحلال القيم الاجنبية محله فكان على راس النخبة المثقفة في مطلع العصر العباسي المعروفين بحبهم للعرب و دفاعهم عن العروبة وقد دمغت هذه الحقيقة بعض الكتاب الى اعتباره من اصل عربي يقول السندوبي ((اذ لو كان في دم الجاحظ شيء قليل أو كثير من دم الاجناس غير العربية لرأيناه على راس الشعوبية الذين لا يرون للعرب شيئاً ولا يعترفون لهم بفضل ولكن نرى الجاحظ في كتبه وفي كل ما روى عنه شديد العصبية للعرب لا يرى فضيلة في امه الا ويرى اكبرمنها لهم))(١٦٠)
.

كذلك من دواعي كتابه البخلاء للجاحظ هو الخصومة السياسية بين الامويين والعباسيين فقد كان كل فريق يحرص على اشاعة المثالب والمناقض للفريق الاخر فكان الاصمعي ينصر الدعوة العربية ويتعصب لها والمدائني يميل الى الشعوبية ونصرتها وكانت الدولة العباسية تشعر منذ قيامها على انقاض الامويين بالحاجة الى تثبيت نفسها والقضاء على المزايا والفضائل الاموية وهذا لا يتأتى الا بالوان شتى من الدعاية الصادقة والكاذبة في اغلب صورها ومما يكون أقرب الى النفس في التشنيع و التأثير ما يتعلق بالمطاعم من شره تتقزز منه النفس وبخل ترتعد له المفاصل فقد قيل ان معاوية كان شحيحا على الطعام وعبدالملك بن مروان كان يلقب برشح الحجر ولبن الطير لبخله وسليمان بن عبدالملك كان نهما قذر الاكل وهشام بن عبدالملك كان بخيلا شديد البخل (١٦١) .

وكان ممن تشيع للدولة العباسية واظهر نقائض الامويين جماعة من الموالي والشعوبية التي اتخذت من هذه الخصومة فرصة لعرض مجد الفرس وانتهاك مزايا العرب وفضائلهم سواء أكانوا امويين ام عباسيين لهذا لم يكن من ابي عثمان الجاحظ الا ان ينافح عن العرب وعاداتهم وتقاليدهم فكان كتاب البخلاء الذي يؤكد مجد العرب بإظهار مثالب الفرس (١٦٢) . يهدف كتاب البخلاء الى امور عديدة منها استرضاء العباسيين بالغض من الامويين وانتقاص مرؤاتهم وطعنهم بالحاق خصلة البخل بهم .

تعرض الجاحظ في البخلاء للأمويين بالانتقاص والنيل من كرمهم وهو عند العرب صفة من صفات المرؤة وذلك استمالة للنظام العباسي القائم على انقاض الدولة الاموية ولكن الجاحظ انطلق في ممالأته للعباسيين من منطلق مذهبي لا نفعي فلم يكر أمر ممالأة العباسيين ظنة لصيقة بالجاحظ وحده بل نالت كذلك طائفة المعتزلة بأكملها (١٦٣) .

وان ابا عثمان الجاحظ كان عربي الدم والنسب فهذا الرجل الذي كرس جهده وحياته لخدمة العرب والعربية وتزعم اكبر حركة قامت في وجه الشعوبية حتى هدمتها أو قضت عليها لهو رجل يغلي في عروقه الدم العربي الزكي وتفور في نفسه العزة العربية الصحيحة (١٦٤) . ومما لاشك فيه ان الجاحظ في العصر العباسي قد عايش الظروف السياسية والاحداث البارزة فيه ولعل ابرزها النزعة الشعوبية التي نشأت نتيجة احتكاك العرب بالفرس هذه النزعة التي أثرت في الجاحظ وخصص لها كتاب تصدى فيها للرد عليها وكان الحديث عن هذه النزعة سائدا في معظم كتبه الادبية كالبخلاء والبيان والتبيين وفي معظم رسائله وقد رد عليه ردا مباشرا في كتابه الحيوان اذ أصبح عنده البعير والفيل مظهراً من مظاهر الخصومة بين النزعة العربية والنزعة الشعوبية الفارسية فعقد مناظرة بينهما في فصل الفيل وعرض لحجج كل منهما (١٦٥)

والف الجاحظ بعض كتبه يرد على الشعوبية والطاعنين على العرب وأولها كتاب البيان والتبيين لان البيان خاصة العرب والميزة التي عرفوا بها ونزل بها كتاب الله ((ان نبتدئ صدر هذا الجزء الثاني من البيان والتبيين بالرد على الشعوبية وطعنهم على خطباء العرب وملوكهم اذا وصلوا ايمانهم بالمخاطر واعتمدوا على وجه الارض بأطراف القسى والعصى...)) (١٦٦) . وكذلك فان كتاب البخلاء اراد ان يسخر فيه من البخل والبخلاء لأنه ضد الكرم طبيعة العرب ومفاخرهم وصدر كتابه هذا برسالة لسهل بن هارون فيها التمدح بالبخل وذم الكرم واخذ على بعض الموالي ومن جاراهم ممن يدينون بالشعوبية اتصاف أهل فارس بالبخل وخاصة اهل خراسان بل انه خصص للشعوبية كتابا اشار اليه في البخلاء يقول ((... وهذا الباب يكثر ويطول وفيما ذكرنا دليل على ما قصدنا اليه من تصنف الحالات فان أردته مجموعا فاطلبه في كتاب الشعوبية فانه هنالك مستقصى)) (١٦٧) .

الخاتمة :

بفضل ما امتلكه الجاحظ من مواهب بلاغيه وقدرات معرفية ظهر بوصفه كاتباً شبه رسمي واجبه اذاعة ونشر وتفسير الاوامر الحكومية أو الافكار الدينية التي مالت اليها السلطة ثم الدفاع عن العباسيين وتبرير وجودهم في السلطة وربما قاده ذلك ايضا الى الاسهام في صنع سياسة الدولة وصياغة مقولاتها والمشاركة في توجيهها واحيل اليه مرات عديدة وضع الكتب والرسائل في موضوعات أرادتها السلطة ان تذيع وتنشر بين جمهور الناس حتى بات الجاحظ من بين اهم وسائل الدعاية التي استخدمتها السلطة فعمل لأكثر من نصف قرن مروجاً للسلطة العباسية وانه ربط ما كتبه بواقع التحولات السياسية والفكرية التي شهدها وعايشها الجاحظ نفسه .

الهوامش :

١ . الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج ١٢ ، ص ٢١٢ – ٢١٣ .
٢ . المسعودي ، مروج الذهب ، ج٤ ، ص ٢٢٣ .
٣ . ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ج ١٦ ، ص ٩٧ – ٩٨ .
٤ . شوقي ضيف ، العصر العباسي الثاني ، ص ٥٩٠ .
٥ . عبدالحكيم بلبع ، النثر الفني ، ص ٢٢٣ .
٦ . ينظر تاريخ ابن خلدون ، ج٤ ، ص ١٢ .
٧ . ينظر الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج ١ ، ٣٨٠ ، ج٢ ، ص ١٤٠ – ١٤٢ ، ج٣ ، ص ٩ ، ص ٤٣٩ ، ص ١٨ ، ج٤ ، ص ١١٧ ، ٢١٨ ، ٢٠٠ ، ٢٥٨ ، ج٥ ، ص ٢٩٠ – ٣٨٠ ، ج ٩ ، ص ٤٠٦ – ٤١٠ ، ج١٠ ، ص ٩٥ – ١٠٠ ، ج ١١ ، ص ٧٩ ، ص ٧٢ ، ج ١٤ ، ص ٢٠ ، ص ٦٦ ، ٨٣ .
٨ . الطبري ، تاريخ الرسل ، ج ١ ، ص ٤٨٩ .
٩ . فاروق عمر فوزي ، الجاحظ مؤرخا ، ص ٩٣ .
١٠ . الجميلي ، الاتجاهات السياسية ، ص ٤٦٩ .
١١ . د. جيا الجاف ، النقد في العصر العباسي ، ص ٢٦٨ .

١٢ . عبدالحكيم بلبع ، النثر الفني ، ١٧٣ – ١٧٤ .
١٣ . محمد زغلول سلام ، دراسات في الادب العربي ، ص ٤٥٦ .
١٤ . رسائل الجاحظ السياسية ، قدم لها وبوبها وشرحها د. علي ابو ملحم ، ص ٣٨ .
١٥ . الجاحظ ، كتاب النابتة تحقيق عبدالسلام محمد هارون ، ج ٢ ، ص ٥ - ٢٣ .
١٦ . الجاحظ ، كتاب النابتة تحقيق عبدالسلام محمد هارون ، ج٢ ، ص ٥ – ٢٣ .
١٧ . الطبري ، تاريخ الرسل ، ج ١٠ ، ص ٤٥ ، ص ١٨٧ ، ص ١٩٣ .
١٨ . طه الحاجري ، الجاحظ حياته واثاره ، ص ٢٢٧ .
١٩ . طه الحاجري ، الجاحظ حياته واثاره ، ص ١٩٢ .
٢٠ . الجاحظ ، كتاب العباسية قدم لها وبوبها د. علي ابو ملحم، ص ٤٦٥ – ٤٧٠ .
٢١ . الجاحظ ، كتاب العباسية قدم لها وبوبها د. علي ابو ملحم، ص ٤٦٥ – ٤٧٠ .
٢٢ .الجاحظ ،كتاب العباسية قدم لها وبوبها د. علي ابو ملحم ، ص ٤٦٥.- ٤٧٠ .
٢٣ . طه الحاجري ، الجاحظ حياته واثاره ، ص ١٩٧ .
٢٤ . الطبري ، تاريخ الرسل ، ج ٧ ، ٥٦٨ .
٢٥ .طه الحاجري ، الجاحظ ، ص ١٩٧ .
٢٦ . جيا ، النقد ، ص ٢٦٨ .
٢٧ . الحاجري ، الجاحظ ، ١٩٧ .
٢٨ . الجاحظ ، كتاب العباسية قدم لها وبوبها د. علي ابو ملحم، ص ٤٦٨ .
٢٩ . الجاحظ ، كتاب العباسية قدم لها وبوبها د. علي ابو ملحم، ص ٤٦٩ - ٤٧٠ .
٣٠ . الجاحظ ، الحيوان ، ج ٢ ، ص ٨٣ .
٣١ . الجاحظ ، كتاب العباسية قدم لها وبوبها د. علي ابو ملحم ،ص ٤٦٥ - ٤٧٠.
٣٢ .الجاحظ ، كتاب العباسية قدم لها وبوبها د. علي ابو ملحم ، ص ٤٦٥ – ٤٧٠ .
٣٣ . الجاحظ ، كتاب العثمانية تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون ، ص ٧ المقدمة .
٣٤ . طه الحاجري ، الجاحظ ، ص ١٨٧ .
٣٥ . الجاحظ ، كتاب العثمانية ، تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون ص ٧ .وما بعدها .
٣٦ . الجاحظ ، كتاب العثمانية ، تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون ص ٢٧ .
٣٧ .الجاحظ ، كتاب العثمانية ،تحقيق عبدالسلام محمد هارون ص ١٢٩ وما بعدها .
٣٨ .الجاحظ ، كتاب العثمانية ، تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون ص ٧ وما بعدها .
٣٩ . الحاجري ، الجاحظ ، ص ١٩٣ .
٤٠ .الجاحظ ، الرسائل (استحقاق الامامة) تحقيق محمد باسل عيون السود ، ج٤ ، ص ١٥٩ - ١٦٥.
٤١ . محمد كرد علي ، امراء البيان ، ص ٤٤٤ .
٤٢ . الدروبي ، رسالة جديدة في مناقب ، ص ١٨ – ٧٢ .

٤٣ . الجاحظ ، كتاب فضل هاشم على عبد شمس قدم لها وشرحها د. علي ابو ملحم ، ص ٤٠٩ – ٤٦٤ .
٤٤ . الجاحظ ، كتاب فضل هاشم على عبد شمس قدم لها وشحها د. علي ابو ملحم ، ص ٤٠٩ – ٤٦٤ .
٤٥ . الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج٣ ، ص ٢٢٢ .
٤٦ . الجاحظ ، كتاب فضل هاشم على عبد شمس قدم لها وشرحها د. علي ابو ملحم، ص ٤٠٩ – ٤١٧ .
٤٧ . الجاحظ ، كتاب فضل هاشم على عبد شمس قدم لها وشرحها د. علي ابو ملحم ، ص ٤٠٩ – ٤١٧ .
٤٨ . الجاحظ ، كتاب فضل هاشم على عبد شمس قدم له وشرحها د. علي ابو ملحم ، ص ٤١٧ .
٤٩ . الجاحظ ، كتاب فضل هاشم على عبد شمس قدم لها وشرحها د. علي ابو ملحم ، ص ٤١٣ .
٥٠ . الجاحظ ، كتاب فضل هاشم على عبد شمس قدم لها وشرحها د. علي ابو ملحم، ص ٤٢٤ .
٥١ . الجاحظ ، كتاب فضل هاشم على عبد شمس قدم لها وشرحها د. علي ابو ملحم، ص ٤٤٣ – ٤٥١ .
٥٢ . الجاحظ ، كتاب فضل هاشم على عبد شمس قدم لها وشرحها د. علي ابو ملحم ، ص ٤٢٠ .
٥٣ . الجاحظ ، كتاب فضل هاشم على عبد شمس قدم لها وشرحها د. علي ابو ملحم ، ص ٤٢٠ .
٥٤ . الجاحظ ، الحيوان ، ج ١ ، ص ١١ .
٥٥ . الجاحظ ، الحيوان ، ج٣ ، ص ٢٠- ٢٣ .
٥٦ . محمد كرد علي ، امراء البيان ، ص ٤٤٤ – ٤٤٥ .
٥٧ . الجاحظ ، كتاب فضل هاشم على عبد شمس قدم لها وشرحها د. علي ابو ملحم، ص ٤٠٩ – ٤٢٠ .
٥٨ . موفق نوري ، العامة والسلطة ، ص ١٣٤ .
٥٩ . الجاحظ ، كتاب فضل هاشم على عبد شمس قدم لها وشرحها د. علي ابو ملحم ، ص ٤٢٣ – ٤٢٤ .
٦٠ . الجاحظ ، كتاب فضل هاشم على عبد شمس قدم لها و شرحها د. علي ابو ملحم ، ص ٤٢١ .
٦١ . الجاحظ كتاب فضل هاشم على عبد شمس قدم لها وشرحها د. علي ابو ملحم، ص ٤٢٨ – ٤٣٠ .
٦٢ . الجاحظ ، البرصان والعرجان ، ص ٢١٩ .
٦٣ . الجاحظ ، التاج ، ص ٨٦ .
٦٤ . الجاحظ ، كتاب العثمانية تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون ، ص ١٩٥ .
٦٥ . محمد بركات ابو علي ، سخرية الجاحظ من بخلائه ، ص ٣١ .
٦٦ . الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج٣ ، ص ٢٤ .
٦٧ . الخفاجي ، ابو عثمان الجاحظ ، ص ١٢٢ .
٦٨ . الخفاجي ، ابو عثمان الجاحظ ، ص ١٢٣ .
٦٩ . محمد عويس ، المجتمع العباسي ، ص ٥٩ .
٧٠ . ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ج ١٦ ، ص ٧٥ – ٧٦ .
٧١ . ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٣ ، ٤٧١ .
٧٢ . المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ٢٢٣ .
٧٣ . ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ج ١٦ ، ص ٧٦ .

٧٤ . ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ج ١٦ ، ص ٧٨ .
٧٥ . د. علي بو ملحم ، كشاف اثار الجاحظ ، ص٣١٨ – ٣١٩ .
٧٦ . الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج ١٢ ، ص ٢١٣ .
٧٧ . الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج١ ، ص ٧٥ .
٧٨ . طه الحاجري ، الجاحظ ، ص ١٧٨ – ١٧٩ .
٧٩ . ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ج ١٦ ، ص ٧٩ ; شارل بلات ، الجاحظ في البصرة ، ص ١١٧ .
٨٠ . بلبع ، النثر الفني ، ص ١٧٨ .
٨١ . الخفاجي ، ابو عثمان الجاحظ ، ص ٦٦ .
٨٢ . طه الحاجري ، الجاحظ ، ص ٢٧٨ .
٨٣ . عويس ، المجتمع العباسي ، ص ٥٩ ; طه الحاجري ، الجاحظ حياته واثاره ، ص ٢٧٨ .
٨٤ .طه الحاجري ، الجاحظ ، ص ١٨٥ .
٨٥ . ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ج ١٦ ، ص ٧٢ .
٨٦ . الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج٣ ، ص ٣٧٤ – ٣٧٥ .
٨٧ . الحاجري ، الجاحظ ، ص ١٨٠ .
٨٨ . شوقي ضيف ، العصر العباسي الثاني ، ص ٥٩٠ ; هاشم الملاح ، الحضارة ، ص ١٤١ ; طه الحاجري ، الجاحظ ، ص ١٨٤ .
٨٩ . ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج٢ ، ص ١٢١ .
٩٠ . طه الحاجري ، الجاحظ ، ص ١٨٩ .
٩١ .طه الحاجري ، الجاحظ ، ١٩١ .
٩٢ . ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ج ١٦ ، ص ٧٨ – ٧٩ .
٩٣ . ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، ج ٢ ، ص ١٤٠ .
٩٤ . محمد عويس ، المجتمع العباسي ، ص ١٤ .
٩٥ . الجميلي ، الاتجاهات السياسية ، ص ٣٠٥ .
٩٦ .طه الحاجري ، الجاحظ ، ص ٢١١ .
٩٧ . جميل جبر ، الجاحظ في حياته وادبه ، ص ١٣٠ .
٩٨ . ابو فرج الاصفهاني ، الاغاني ، ج ١٠ ، ص ١١٦ .
٩٩ . ابن النديم ، الفهرست ، ص ٢٠٨ ; ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ج ١٦ ، ص ٦٢ ; الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ص ٥٢٦ – ٥٢٧ .
١٠٠ . ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ج ١٦ ، ص ٥٨ ; شوقي ضيف ، المرجع السابق ، ص ٥٩٠ .
١٠١ . ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ج ١٦ ، ص ٧٧ – ٧٨ .
١٠٢ . شفيق جبري ، الجاحظ معلم العقل والادب ، ص ٤١ .

١٠٣ ، محمد كرد علي ، امراء البيان ، ص ٢٨٨ .
١٠٤ . وديعة النجم ، الجاحظ والبلاط العباسي ، ص ٣٣ .
١٠٥ . ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ج ١٦ ، ص ٧٦ – ٧٨ .
١٠٦ . وديعة طه النجم ، الجاحظ والبلاط العباسي ، ص ٣٤ .
١٠٧ . الجاحظ ، كتاب في خلق القران ، تحقيق محمد باسل عيون السود ، ج ٣ ، ص ٢١٧ – ٢٢٨ .
١٠٨ . الجاحظ ، كتاب في نفي التشبيه ، تحقيق محمد باسل عيون السود ، ج ١ ، ١٩٧ – ٢١٨ .
١٠٩ . الجاحظ ، كتاب في الرد على المشبهة ، تحقيق محمد باسل عيون السود ، ج ٤ ، ص ٥ – ١٢ .
١١٠ . محمد عبد المنعم الخفاجي ، ابو عثمان الجاحظ ، ص ٦٧ .
١١١ . الجاحظ ، الحيوان ، ج ٤ ، ص ٢٠٦ .
١١٢ . السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ١٣٨ .
١١٣ . الجاحظ ، كتاب في خلق القران تحقيق محمد باسل عيون السود ، ج ٣ ، ص ٢١٧ – ٢٢٨ .
١١٤ . المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ٩٣ – ٩٨ .
١١٥ . الملاح ، المصدر السابق ، ص ١٤٢ ; شوقي ضيف ، العصر العباسي الثاني ، ص ٥٩٠ .
١١٦ . السيوطي ، تاريخ ، ص ٣١٢ .
١١٧ . الجاحظ ، كتاب مناقب الترك وعامة الجند والخلافة تحقيق محمد السود، ج ٣ ، ص ١٢٥ – ١٦٨ .
١١٨ . الجاحظ ، كتاب مناقب الترك وعامة الجند والخلافة تحقيق محمد السود ، ج ٣ ، ص ١٢٥ – ١٦٨ .
١١٩ . الجاحظ ، كتاب مناقب الترك تحقيق محمد السود ، ج ٣ ، ص ١٢٥ – ١٦٨ .
١٢٠ . الجاحظ ، كتاب مناقب الترك تحقيق محمد السود ، ج ٣ ، ص ١٢٥ – ١٦٨ .
١٢١ . الجاحظ ، كتاب مناقب الترك تحقيق محمد السود ، ج ١ ، ص ١٢٥ – ١٦٨ .
١٢٢ . فاروق عمر فوزي ، الجاحظ مؤرخا ، ص ٩٢ .
١٢٣ . علي بو ملحم ، كشاف اثار الجاحظ ، ص ٣٣٢ .
١٢٤ .الجاحظ ، مناقب الترك تحقيق محمد الاسود ، ج ١، ص ١٢٥ – ١٦٨ .
١٢٥ . ابو هلال العسكري ، الاوائل ، ج١ ، ص ٣٩٠ .
١٢٦ . الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٧ ، ص ٢٣١ .
١٢٧ . ابو هلال العسكري ، الاوائل ، ج ١ ، ص ٣٩٠ ; الطبري ، تاريخ الرسل ، ج٧ ، ص ٢٦٠ .
١٢٨ . الطبري ، تاريخ الرسل ، ج ٧ ، ص ٢٦٠ .
١٢٩ . الجاحظ ، مناقب الترك تحقيق محمد السود ، ج ٣ ، ص ١٤٥ .
١٣٠ . فاروق عمر فوزي ، الجاحظ مؤرخا ، ص ٩٣ .
١٣١ . الجاحظ ، مناقب الترك ، تحقيق محمد السود ، ج ٣ ، ص ١٢٥ – ١٦٨ .
١٣٢ . الجاحظ ، مناقب الترك ، تحقيق محمد السود ، ج ٣ ، ص ١٦٣ وما بعدها .

١٣٣ . الجاحظ ، مناقب الترك تحقيق محمد السود ، ج ٣ ، ص ١٢٥ ـ ١٦٨ .
١٣٤ . محمد كرد علي ، امراء البيان ، ص ٧٤٤ .
١٣٥ . الملاح ، المصدر السابق ، ص ١٤٣ .
١٣٦ . الجاحظ ، رسالة ذم اخلاق الكتاب ، تحقيق محمد السود ، ج ٢ ، ص ١٣٩ – ١٥٦ .
١٣٧ . الجاحظ ، رسالة التربيع والتدوير ، تحقيق محمد السود ، ج ٣ ، ص ٤٣ – ٧٩ .
١٣٨ . السندوبي ، ادب الجاحظ ، ص ٣٧.
١٣٩ . المسعودي ، مروج ، ج٤ ، ص ٩ ; ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ج ١٦ ، ص ٩٩ – ١٠٠ .
١٤٠ .المسعودي ، مروج ، ج ٤ ، ص ٩ ; ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ج ١٦ ، ص ٩٩ – ١٠٠ .
١٤١ . ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ج١٦ ، ص ٧٢ .
١٤٢ . خليل ابراهيم عيسى، الاعلام في خدمة بلاط السلطان منذ عصر الجاحظ ، ص ٦.
١٤٣ . الطبري ، تاريخ الرسل ، ج ٩ ، ص ١٧٣ ; اليعقوبي ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ٤٨٧ .
١٤٤ . الجاحظ ، تحقيق محمد السود الرد على النصارى ، ج٣ ، ص ٢٣١ - ٢٦٤
١٤٥ .الجاحظ ، الرد على النصارى تحقيق محمد السود ، ج ٣ ، ص ٢٣١ – ٢٦٤ .
١٤٦ . خليل ابراهيم عيسى ، الاعلام في خدمة بلاط السلطان منذ عصر الجاحظ ، ص ٦ .
١٤٧ الجاحظ ، رسالة الرد على النصارى تحقيق محمد السود ، ج ٣ ، ص ٢٣١ – ٢٦٤ .
١٤٨ . ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ج ١٦ ، ص ١١٣ .
١٤٩ . داود سلوم ، الجاحظ منهج وفكر ، ص ١٣ .
١٥٠ . السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ٣٢٥ ; محمد عبد المنعم الخفاجي ، ابو عثمان الجاحظ ، ص ٨٠ .
١٥١ . الجميلي ، الاتجاهات السياسية ، ص ٣٠٥ .
١٥٢ . الملاح ، المصدر السابق ، ص ١٤٦ .
١٥٣ .الجاحظ ، رسالة فصل ما بين العداوة والحسد تحقيق محمد السود، ج١ ، ص ٢٣٩.
١٥٤ . الجاحظ ،رسالة فخر السودان على البيضان تحقيق محمد السود، ج١ ، ص ١٢١ – ١٦٢ .
١٥٥ . الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج ١ ، ص ٩٨ – ١٦٦ وما بعدها .
١٥٦ . الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج ٣ ، ص ١٢ وما بعدها .
١٥٧ .الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج ٣ ، ص ٥ – ٩٣ ، ص ١١٣ .
١٥٨ .الجاحظ ، البخلاء تحقيق طه الحاجري ، ص ٢٢٨ .
١٥٩ . الجاحظ ، البخلاء تحقيق طه الحاجري ، ص ٢٣٤ .
١٦٠ . السندوبي ، ادب الجاحظ ، ص ١٤ .
١٦١ . انظر الجاحظ ، البخلاء ، ص ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥٢ ، ١٥٦ .
١٦٢ .محمد بركات ابو علي ، سخرية الجاحظ من بخلائه ، ص ٣٨.
١٦٣ . انظر الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج ١ ، ص ١٨٦ .

١٦٤ .عبدالحكيم بلبع ، النثر الفني ، ص ١٧٥ .

١٦٥ .الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج٣ ، ص ٢٩ – ٣٠ .

١٦٦ .الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج ٢ ، ص ٥ .

١٦٧ .طه الحاجري ، الجاحظ حياته واثاره ، ص ٣٠٠ .

المصادر والمراجع :

بلات ، د . شارل

١ . الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء ، ترجمة : د . ابراهيم الكيلاني ، دار اليقظة العربية ، دمشق ، ١٩٦١ .

بلبع ، عبدالحكيم

٢ . النثر الفني واثر الجاحظ فيه ، مطبعة الرسالة ، مصر ، ١٩٥٥ .

الجاحظ ، ابو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ / ٨٦٨ م)

٣ . البخلاء ، حقق نصه وعلق عليه طه الحاجري ، دار المعارف ، مصر ، د.ت .

٤ . البرصان والعرجان والعميان والحولان ، تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون ، دار الرشيد ، بغداد ، ١٩٨٢ .

٥ . البيان والتبيين ، بتحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون ، ط٥ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٨٥ .

٦ . التاج في اخلاق الملوك ، تحقيق الاستاذ احمد زكي باشا ، د .ت .

٧ . الحيوان ، بتحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، د. ت .

٨ . رسائل الجاحظ شرحه وعلق عليه محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٢ ، ٢٠٠٠ .

٩ . رسائل الجاحظ بتحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٦٤ .

١٠ . كتاب العثمانية ، تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩١ .

جبر ، جميل

١١ . الجاحظ في حياته وأدبه وفكره ، بيروت ، ١٩٦٨ .

جبري ، شفيق

١٢ . الجاحظ معلم العقل والادب ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٤٨ .

الجميلي ، د. محمد كريم

١٣ . الاتجاهات السياسية في ادب الجاحظ ، مجلة الاداب ، الجامعة العراقية ، العدد ١١٦ ، ٢٠١٦ .

جيا ، فخري عمر الجاف و خليل ابراهيم

١٤ . النقد في العصر العباسي الجاحظ ودوره الحضاري في القرن الثالث الهجري ، مجلة كلية التربية ، العدد التاسع

الحاجري ، طه

١٥ . الجاحظ حياته واثاره ، دار المعارف ، مصر ،ط ٣ ، ١٩٨٨ .

الخطيب البغدادي ، ابو بكر احمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧١ م)

١٦ . تاريخ بغداد او مدينة السلام ، دراسة وتحقيق مصطفى عبدالقادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٧ .

الخفاجي ، محمد عبدالمنعم

١٧ . ابو عثمان الجاحظ ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط١ ، ١٩٧٣ .

ابن خلدون ، عبدالرحمن بن محمد الحضرمي (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٦ م)
١٨ . تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، ط٤ ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت .
ابن خلكان ، ابو العباس شمس الدين احمد بن ابي بكر (ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م)
١٩ . وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق : د. احسان عباس ،دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٨ .
الدروبي، د . محمد محمود
٢٠ . رسالة جديدة للجاحظ في مناقب خلفاء بني العباس ، مجلة حوليات الاداب والعلوم الاجتماعية ، الحولية الثانية والعشرون ، ٢٠٠٢ .
الذهبي ، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٧٤ م)
٢١ . سير اعلام النبلاء ، مؤسسة الرسالة ، ط١١ ، اشرف على تحقيق الكتاب شعيب الارنؤوط ، بيروت ، ٢٠٠١ .
سلام ، محمد زغلول
٢٢ . دراسات في الادب العربي ، الناشر منشأة المعارف ، الاسكندرية ،د .ت .
السندوبي ، حسن
٢٣ . ادب الجاحظ ، المطبعة الرحمانية ، ط١ ، ١٩٣١ .
السيوطي ،الحافظ جلال الدين عبدالرحمن بن ابي بكر (ت ٩١١ هـ / ١٥٠٦ م)
٢٤ . تاريخ الخلفاء ، تحقيق لجنة من الادباء ، مطابع معتوق اخوان ، بيروت ، د.ت .
الشهرستاني ، ابو الفتح محمد بن عبدالكريم بن ابي بكر (ت ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م)
٢٥ . الملل والنحل ، عرض وتعريف د. حسين جمعة ، منشورات داردانية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٠ .
الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير (٣١٠ هـ / ٩٢٢ م)
٢٦ . تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار التراث العربي ، بيروت ، د. ت .
ضيف ، د . شوقي
٢٧ . العصر العباسي الثاني ، دار المعارف ، مصر ، ط٢ ، د.ت .
علي ، محمد كرد
٢٨ . امراء البيان ، دار الافاق العربية ، القاهرة ، ٢٠٠٣ .
ابو علي ، محمد بركات حمدي
٢٩ . سخرية الجاحظ من بخلائه ، ط٢ ، الاردن ، مكتبة الاقصى ، ١٩٨٢ .
ابن العماد الحنبلي ، ابو الفلاح عبد الحي (ت ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٨ م)
٣٠ . شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، ط١ ، المكتب التجاري ، بيروت ، د.ت .
عويس ، د. محمد
٣١ . المجتمع العباسي من خلال كتابات الجاحظ ، دار الثقافة ، القاهرة ، ١٩٧٧ .
عيسى ، خليل ابراهيم
٣٢ . الاعلام في خدمة بلاط السلطان منذ عصر الجاحظ ، الجزيرة ، ٢٠١٨ .

فوزي ، فاروق عمر
٣٣ . الجاحظ مؤرخا ، مجلة افاق عربية ، السنة ٨ ، العدد ٤ ، ١٩٨٢ .
ابو الفرج الاصفهاني ، علي بن الحسين بن محمد بن احمد (ت ٣٥٦ هـ / ٩٦٧م)
٣٤ . الاغاني ، ط دار الكتب ، د .ت .
الدينوري ،عبدالله بن مسلم بن قتيبة
٣٥ . عيون الاخبار، القاهرة ، المؤسسة المصرية العامة ، د. ت .
المسعودي ،ابو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م)
٣٦ . مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد ، مط السعادة ، ١٩٥٨ م
الملاح ، هاشم
٣٧ . الحضارة الاسلامية وافاق المستقبل ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠١٠ .
بو ملحم ، د.علي
٣٨ . كشاف اثار الجاحظ ، ملحق كتاب رسائل الجاحظ السياسية ، دار مكتبة الهلال
النجم ،وديعة طه
٣٩ . الجاحظ والبلاط العباسي ، مجلة المعلم الجديد ، الجزء ٤ ، المجلد ٢٢ ، ١٩٥٩ .
٤٠ . الجاحظ والحاضرة العباسية ، مطبعة الارشاد ، بغداد ، ١٩٦٥ .
ابن النديم ، ابو الفرج محمد بن اسحاق (ت ٣٨٥ هـ / ٩٩٥ م)
٤١ . فهرست ابن النديم ، مط الاستقامة ، القاهرة ، د .ت .
نوري ، موفق سالم
٤٢ . العامة والسلطة ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة الموصل ، ١٩٩٧ .
ابو هلال العسكري ، الحسن بن عبدالله (ت ٣٩٥ هـ / ١٠٠٤ م)
٤٣ . الاوائل ، دمشق ، ١٩٧٥ .
ياقوت الحموي ، شهاب الدين ابي عبدالله (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م)
٤٤ . ارشاد الاريب الى معرفة الاديب المسمى بمعجم الادباء أو طبقات الادباء ، ط٣ ، دار الفكر ، د.ت .
اليعقوبي ، أحمد بن ابي يعقوب بن واضح الكاتب
٤٥ . تاريخ اليعقوبي ، ط النجف ، ١٩٣٩ .